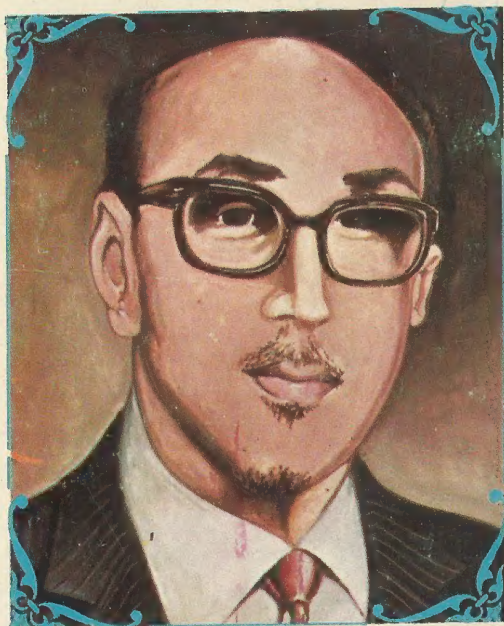


المكتبة المفتوحة



حمزة شحاته

قصة عرفت ولم تكتشف



عزيز ضياء



عزّة شحمانه

قمة عرفت ... ولم تكتشف !

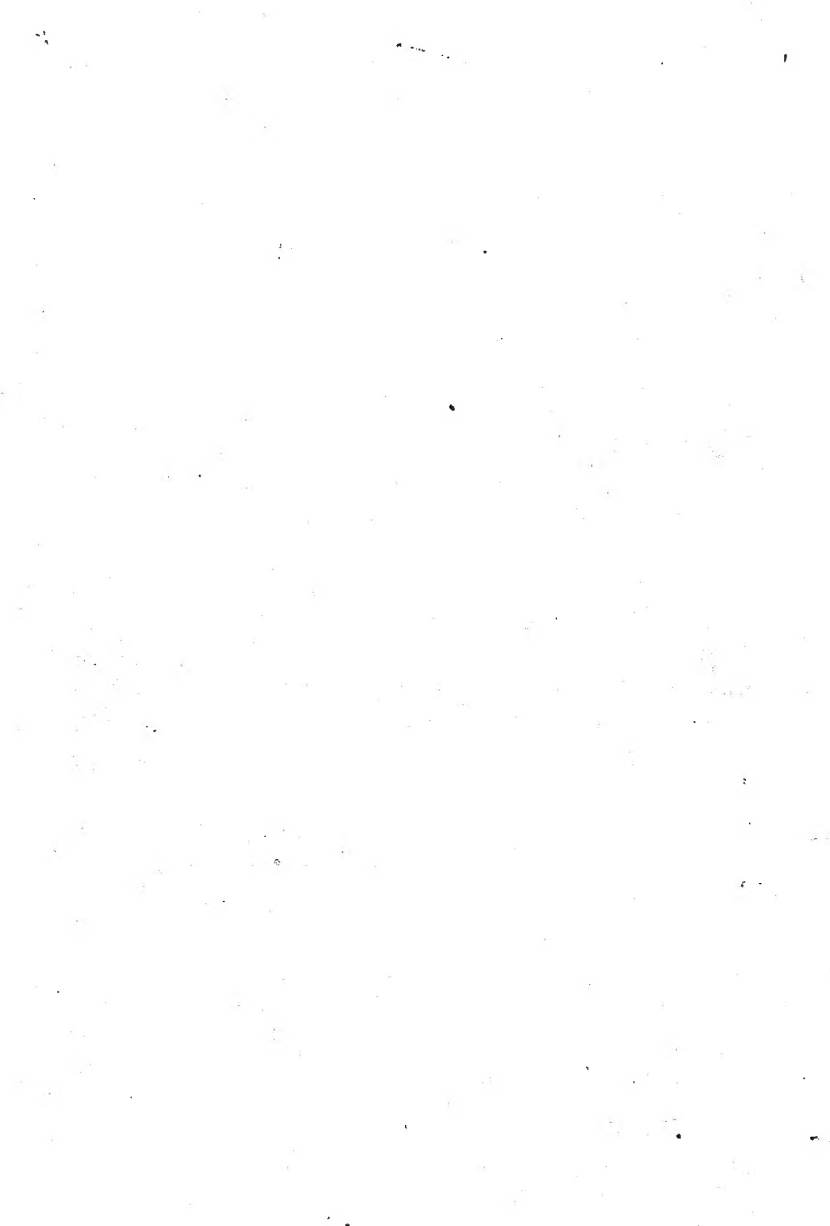
عزيز حسياء

الطبعة الاولى : ربيع الآخر ١٣٩٧ هـ

مارس ١٩٧٧ م

تصميم الغلاف من اعداد شركة (تهامة) للاعلان
العناوين للفنان السعودي الاستاذ حمد كليب الحارثي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المقدمة

فى أدبنا قمة عرفت ولم تكتشف ..

وليس وجه الغرابة فى انها عرفت ولم تكتشف ، وانما فى انها القمة ، التى لم تخضع لما تخضع له القمم - حتى فى التكوين الجيولوجى - من عوامل التحات والتعرية ، وما الى ذلك مما نتجنب الخوض فيه باى تفصيل يختص به العلماء .

والقمة التى أتحدث عنها ، ليست قمة من قمم جبالنا ، وانما هى قمة أدبية ، وهذا ايضا لا بد منه لمن يتوهم ، أن قاعدة الاخذ من كل شىء بطرف بالنسبة للكاتب أو الاديب ، لا تمنع أن أخوض فى بحث جغرافى أو جيولوجى ... ثم لا بد منه ايضا لاؤكد أن هذه القاعدة ، قد أصبحت خرافة نصيبها من السخرية هو النصيب المقلور ، لكل من يطيب له أن يتوسع فى الادعاء .

والقمة الادبية التى أتحدث عنها ، لم تخضع لما تخضع له القمم من مثيلاتها ، على امتداد وتلاحق السلسلة الطويلة من أولئك العباقرة الذين عرفهم تاريخ الادب العربى ، أو تاريخ أى أدب من آداب الامم فى هذا العالم الكبير .

انها القمة التى أخذت العيون بشموخها ، وكانها ولدت قمة منذ درجت على تراب هذه الارض ... أو منذ تفتحت هذه العيون على الادب ، ومنذ تعلق قلوب الذين عرفوها ، سحر

الاشعاع في الحرف ، وتعشقت حنان موسيقاه ، وسرحت مع
أطيافه ورؤاه وانساحت في ألوانه وظلاله .

ورصفائي من الشيوخ ، هم اصحاب تلك العيون التي أخذتها
القمة بشموخها . . وهؤلاء الرصفاء رغم ما طال من الزمن
معاشرة لها ، وتفاعلا مع ما يشبه تفجر الينبوع الثر من عطائها ،
ليس في الشعر فنا أسرا أخاذا ، وليس في النثر درا ولآلىء
فحسب ، وانما في الفكر غواصا في الاعماق ومحلقا في ابعاد
الآفاق ، ومتمردا على المألوف ، والتقليدي والمتبع ، الى حد
كثيرا ما وصفه محبوبه قبل شائثيه بانه (لا يطاق) !

رصفائي هؤلاء . . . رغم طول العشرة ، ورغم وثاقة تركيب
اطار الزمالة ، الذي جمعهم بها ، بل ورغم وشائج الود والصدقة
التي توطلت بينهم وبينها ، يمكن أن أقول انهم عرفوا هذه القمة
شاهلوها . . . ولعل بعضهم ، لم يعدم القدرة على دقة تقدير
شموخها ، وقد يبلغ بأخريين منهم ، حد توهم انهم لا يجهلون عنها
شيئا ذا بال ، ما داموا قد راوها ، وطافت أبصارهم بهذا الجانب
أو ذاك من جوانبها، ولكن أرجو أن لا أدهشهم ، أو أثير استنكارهم
إذا قلت : ان طبيعة كل قمة أن ترى . . وأن تملا العيون ، وأن
يتلامح هذا الجانب منها أو ذاك ، مما يبدو وكأنه يغني عن
اكتشاف الذروة فيها ، والبحث فيما وراء الظاهر من قوامها . . .
ولكن . . كل هذا . . لا يعني اكتشافها . .

ان نسمع بقمة من قمم الهيمالايا ، أو ان نقرب من سفوحها
وان نرفع أبصارنا الى ذراها الضاربة في أحضان السماء ، وأن
ياخذنا العجب ، بما يتلاحق فوق سطحها من المرائي والصور ،
يتفرق عنها الضباب فتشرق وتسطع لها الالوان والظلال ثم يتجمع
ويتماسك ، فيلفها ، وتتلامح فيشتد الشغف بتأمل اللقائق

واستشفاف التفاصيل الغائبة وراء هذا الضباب ... كل هذا لا يعنى سوى اننا رأيناها .. ولكن الاكتشاف شيء آخر وليس بيننا من لم يسمع عن البعثات التى تغامر بمحاولة اكتشاف هذه القمم ، وما يتعرض له أعضاؤها من الرجال ، من أخطار بل ما يفاجأون به من أسباب الفناء والدمار .

وهذا ... وأعنى اكتشاف القمة الادبية التى أتحدث عنها ، لم يحدث حتى هذه اللحظة ..

ولقد كنت واحدا من هؤلاء الذين رأوها ... بل كنت واحدا ممن جمعهم بها اطار الزمالة - ولا أقول الندادة - وممن توثقت بينهم وبينها وشائج الود والصداقة والالفة ، والتصادم الفكرى ، ولكنى كنت أيضا واحدا ممن لم يزد حظهم من اكتشافها عن حظ الآخرين .. وأعنى اننى عرفتها وشهدتها شامخة ، تعيش الحياة ، وأعيشها معها عرضا أغنى عن الطول ، وفرة من أيام بل سنوات صرم حبل امتدادها نزوح هذه القمة الى مصر ، وتعسر كل محاولة بذلتها للعودة الى وطنها ... الى هذه الارض والى جلة بالذات ، الا بعد ان اجتازت هذا الممر المحتوم ، من الحياة الفانية الى الدار التى ينكشف عنا - فى انتقالنا اليها - الغطاء فبصرنا يومذاك حديد ... ولكنها أيام وسنوات كانت على قصرها ازمانا طويلة وعريضة وعميقة ، ترافق فكر ، وتموج شعر ، وتزخارا بما يشبه الكنوز الدفينة ثراء ذكريات ، وتجنح أحلام وآمال .

وبعد ... ان هذه القمة فى أدبنا ، هى الصديق ، والاخ الحبيب ، والزميل الكبير المرحوم الاستاذ (حمزة شحاتة) .

وما كاد ينشر خبر وفاته فى الثانى عشر من شهر ذى الحجة عام ألف وثلاثمئة واثنين وتسعين ، حتى ازدحمت جميع صحف

المملكة ومجلاتها ، بما جاشت به نفوس وعواطف الادباء والشعراء
من مشاعر الفجیعة فیہ ، والتقدير لمكانته ، والحسرة والاسی
لفقده . . .

وكانت هذه الهزة التي سرت في نفوس الكتاب والادباء ،
واخص منهم الشداة والناشئين ظاهرة ، قل ان التفت الى عنصر
الغربة فیها احد ، ممن ظلوا يوالون الكتابة عنه راثنين ، وفي
رثائهم دفقات فوارة من الاعجاب بادبه . وزخات محتدمة من
الاشادة بعبقريته .

وعنصر الغربة في هذه الهزة ، وفي هذه الدفقات من
الاعجاب والزخات من الاشادة ، هو ان حمزة يرحمه الله ، ظل
- طيلة حياته - احرص اقرانه ورصفائه على الزهد في نشر
روائعه في الشعر واسماط لآلئه في النثر ، وشوارده من الحكم ،
التي تدخل ساحة ما يسمى (أفوريزم) او (الاقوال الماثورة) من
اوسع الابواب ، ليس في الادب العربي الحديث فحسب ، وانما
- ودون مبالغة او انجراف عاطفی - في الادب العالمي على اوسع
نطاق !

كيف يتفق ان تتقرر لهذه الشخصية هذه الشهرة الساطعة ،
والصيت البعيد ، وان تتبارى اقلام الشداة والناشئين في التحدث
عن عبقريته وفنه ، طيلة اسابيع ، وربما حتى اليوم ، دون ان
تتاح لهم او يتيح لهم الشاعر ان يقرأوا الا اقل القليل من
اعماله ؟!

لا وجه للدهشة او الاستغراب ، حين نقرأ للاستاذ (احمد
قنديل) اروع ما توهجت به مشاعره او مشاعر الرائيين من
الشعراء في القصيدة التي رثى بها (حمزة) . . . وليس مما

يؤخذ ماخذ الانسياق والاتباع حين نقرأ ما كتبه الشاعر الاستاذ السيد (محمد حسن فقي) ، ولا نتردد فى التقدير والاعجاب بما كتبه الاستاذ (محمد عمر توفيق) أو الاستاذ (حسين بن سرحان) ، أو الاستاذ (ضياء الدين رجب) ... لا وجه للدهشة والاستغراب لان هؤلاء مع غيرهم من زملائه ، هم الذين عايشوا الشاعر الفقيد ، وعاشوا تفتح عبقريته وازدهار عطائه وامتلات نفوسهم انفعالا وتأثرا باشعاع تلك العبقرية ، ونفحات ذلك العطاء ... بل هم الذين عايشوا مرحة وروحه الأسر ، وصراعه المفكري ، وغوصه على الحقائق ، أو ما يريد هو أن يجعله حقائق ، بمنطقه القوي المكتسح .

وأتما الدهشة والعجب ، من هذا القيض الذى ظل يتدفق من أقلام الشداة والشبان ، الذين لا أشك فى أن بينهم من لم ير الشاعر الا فى الصور التى نشرت له ، ولم يقرأ له الا ما نشر فى : (الشعراء الثلاثة) وفى : (شعراء العجاز فى العصر الحديث) وهما المؤلفان المعروفان للاستاذ (عبد السلام الساسى) وقد لا أكون مبالغاً ومسرفاً فى الشك ، اذا ذهبت الى أن بعض من كتبوا عنه - وبحرارة - لم يطلع حتى على ما نشر له فى هذين الكتابين .

واذا كان لا بد من تفسير لهذه الظاهرة ، ولا بد أن نسميها (ظاهرة) ، فهو أن أقل القليل من هذا الذى نشر له وعنه ، كان له من الاثر فى النفوس ، والايغال فى المشاعر ، والرسوخ فى الاذهان ما لم ، ولا يتوفر لغير حمزة شحاتة ، الا بالكثير المتوالى من عطاء منشور ، وعلاقة موصولة .

وهذا يؤكد - مرة أخرى - أن حمزة شحاتة فى حياتنا الادبية كان وما يزال القمة التى عرفت ، ولكنها لم تكتشف ... فهؤلاء

الشدة والناشئون الذين صالوا وجالوا باقلامهم على اختلافها قوة وضعفاً وسطحية وعمقا ، لا يختلفون عن أولئك الذين يشهدون احلى قمم الهمالايا ، ويؤخلون بشموخها ، ولكنهم يلتزمون الصمت اذا ما سئلوا عن هذه القمة تكوينا يتعقد ، ومسالك تتوعر أو تسهل ، ومداخل تتجهج أو تهش ، وانواعا من المعادن النادرة ، والاحجار الثمينة ، تظهر على السطح فتتالها الايدى ، أو تستتر وتتوارى فى الاعماق ، فلا يصل اليها الا المختصون فى التنقيب عن المعادن ، الى جانب أنواع من اللوح وصنوف من الحشائش والاعشاب ، لها من الوان الزهر ، وغرائب الشكول ، ما لا يعرف خصائصه ، وفصائل انتمائه ، الا كبار الاختصاصيين فى النبات من علم الاحياء .

ولا أحب أن أتورط فازعم ، انى استعطت اكتشاف هذه القمة ، وأن هذا الحديث يكشف ، أو يعرض الكثير من المجهول عنها ... وارجح الظن أن رصفاءنا من الشيوخ ، لا يرضيهم بل لا يرضينى انا معهم ، أن تقال الكلمة الاخيرة أو الوافية النصفة ، التى تعطى (حمزة شحاتة) حقه ، وحق اديه وعبقريته من البحث والتحليل والتقدير ، فى مثل هذا الحديث ، الذى يمكن أن أسميه مقالة .

فاذا لم يقدر لى هذا - وظاهر الحال يؤكد انه بعيد المنال - فان فى شبابنا الجامعي المؤهل وهو يتفرغ لتحضير رسالة فى مستوى الماجستير ، أو مستوى الدكتوراة ، من أرجو أن تحفزه هذه المقدمة أو هذا الحديث كما أحب أن يسمى ، الى أن يجعل احلى هاتين الرسالتين عن حمزة شحاتة شاعرا واديبا وفيلسوبا ... أو فلنقل رائدا من رواد الفكر فى هذا البلد الذى يكفيه حين تقفر حياته الفكرية طيلة ما يقرب من نصف قرن ، ممن يمكن أن يعتبروا روادا ، أن يكون فيه ومن أبنائه البررة حمزة شحاتة رحمه الله .

عزيز ضياء

كيف عرفت؟

عرفت حمزة شحاتة ذات مساء ، بعد اطلاق سراحه من معتقله فى الرياض ، مع عدد من شبّان تلك الايام على اثر الفتنة التى شغب بها (حامد ابن سالم بن رفادة) وانتهت بمقتله وابنيه على مقربة من « ضبا » فى الشمال من ساحل البحر الاحمر ، فى عام ألف وثلاثمائة وواحد وخمسين . وكان من هؤلاء الشبان أستاذنا الشيخ «عبدالوهاب آشى» ، أول رئيس تحرير لجريدة صوت الحجاز التى كان العدد الاول منها قد ظهر فى يوم الاثنين السابع والعشرين من شهر ذى القعدة عام ألف وثلاثمائة وخمسين . كما كان منهم الاستاذ « محمد حسن عواد » الذى كان بدوره مديرا لتحرير هذه الجريدة واذا كانت جريدة صوت الحجاز

تصدر فى مكة المكرمة وكنت من سكانها فقد كانت
معرفتى بالاستاذ (عبدالوهاب آشى) ، وبلاستاذ
(محمد حسن عواد) أسبق من معرفتى بحمزة •

كنت أمشى خارجا من مظلة المسعى ، الى ساحة
الصفاء ، برفقة صديق أرجو ألا تغدلى الذاكرا اذا
قلت انه الشيخ الاستاذ « صالح باخطمة » ، ، وقد
كان ، وأرجح انه ما يزال رغم صمته ، من رجال
القلم والفكر ، مع الزهد فى النشر ، وان كنت لا
أنسى له جولات فى صوت الحجاز ينشرها بتوقيع
(المقنع) •

كنا على موعد لزيارة الشيخ (عبدالوهاب آشى)
لتهنئته بسلامة العودة وبالبراءة مما نسب اليه مع
اخوانه ... وسمعت الشيخ « صالح باخطمة »
يهمس : (أنظر ... هذا الشاب ... أبو
نضارة) ! ، وأشار بأصبعه ، فرأيت شابا ، فارع
القامة وثيق البنيان ، عالي الجبهة ، أسمر اللون

وعلى رأسه تلك الكوفية التي كان شباب جدة يتألقون ، ليس فقط في طريقة وضعها مائلة أو مستقيمة ومنحدرة الى الوراء ، أو متوثبة الى الامام ، وانما في معالجتها بالنشا والكي والتكوين الخاص ... وعلى العنق ، قطعة من القماش مازلت أسميها (شالا) ولعل لها عند اخواننا في جدة اسما آخر .. وقد تختلف هذه القطعة أو هذا الشال مادة ونسيجا كما تختلف ألوانا وأثمانا ، ترتفع فتبلغ عددا من الجنيهات الذهبية ، وتنخفض ، فلا تزيد عن عدد من الريالات الفضية ... ولكنها - وأعني هذه القطعة من القماش - دائما حول العنق ، يتدلى طرفاها على الصدر ، يحيط به المعطف - وكانوا يسمونه « كوتا » - الذي يغلب أن يكون من لون الثوب ، وهذا الثوب لابد أن يكون ناصع البياض ، كما هو الحال الآن - ولكن لا بد بالنسبة للمتأنقين المترفين من شباب جدة ، أن يكون أقصر ، أو قصيرا ، يسمح بظهور السروال ، (الذي لا يختلف عن البنطلون في شيء)

وقد سمعت أن النساء كن يبذلن الطائل من الجهد
لكيّه ، وابرّاز استقامة خط الثّنية فيه .

وأضاف الشيخ صالح باخطمة : (هذا أبو عرب
... حمزة شحاتة) وكان يعرفه فاستوقفه مرحبا
أو استوقفناه معا ، أمام بيت باناجة الذى كان
يحتلّ الصدر من ساحة الصّفا للمقام من أجياد أو
سوق الصغير ، ويفصل بين المسعى والقشاشية .

وكان حمزة ذاهبا ، هو أيضا إلى منزل الشيخ
عبدالوهاب آشي فى القشاشية ، فترافقنا ومازلت
أذكر تصعيدنا فى سلالم منزل الشيخ عبدالوهاب
طابقا بعد طابق - إلى أن وصلنا إلى السطح ، أو
« الخارجة » ، كما كانت تسمّى تلك الساحة ويسهر
فيها الاصدقاء المقربون ، فى البيوت التى تتعدّد
فيها الخوارج ، هربا من الحر وطلبا لنسمة الهواء
ولا بد أن أذكر فى هذه اللحظات اعجابى البالغ ،
بالمثال الذى بدا لى رائعا للاناقة فى هندام حمزة
وملابسه ... كان له ذلك المظهر السّريّ الذى

يذكرُك باحساسه المريف ببواعث الشباب ونوازه
وما يستتبعانه من تعلُّق بالترف ، وحرص على
التأنق ، فى اطار من صرامة الرجولة ، ودفقة
عنفوانها واعتزاز بالشخصية واحساس بالوزن
الفكري تحلُّق به مشاعر النبيل ، وليس التنبُّل ،
والرفعة ، وليس الترفع وصدق العاطفة فيما يفضى
به عن ذات نفسه ، وخلوصها ، وليس افتعالهما أو
التظاهر بهما •

ويطول الحديث عن مراحل العلاقة بين حمزة ،
وبين أصدقائه فى مكة حين يسكنها وبين هؤلاء
وأصدقائه فى جدة حين يعود اليها كلما استتقال
كعادته من الوظائف التى يتقلدها . . . بل قد لا
ينتهى هذا الحديث اذا مذهبنا الى استعادة ذكريات
ليال ، لم تكن تخلو من المرح والعبث ، ولكنها تزخر
وتزدحم أشد الازدحام أيضا بالحوار والنقاش ،
حول ما لا يحصى من شئون الفكر والادب والفلسفة
والفن والسياسة والاخلاق •

ومازلت أذكر ، ولا ينسى رصفائي من الشيوخ ، كيف كانت تنقضى الليلة من الفسق حتى الفجر في حوار حول آراء افلاطون في جمهوريته ، التي اشتريت أول نسخة منها بجنيه ذهبي ممن أن الاوان لذكر فضله على ناشئة تلك الايام ، باستيراد هذه الكتب أو اصطحابها معه في عودته من مصر وهو الشيخ «أحمد حلواني» في مكتبته ، أمام دائرة البريد في القشاشية ، وكانت أول ترجمة للجمهورية ظهرت في اللغة العربية بقلم (حنا خباز) ثم حول الفارابي ومدينته الفاضلة ، بل حول داروين ونظريته في أصل الانواع ، وقد ترجم كتابه الأستاذ « اسماعيل مظهر » ، بل لست أنسى كيف كنا نتناوب على النسخة الوحيدة من كتاب أو كتب الدكتور « شبلي شميل » ، رغم ما كان معروفا عنه من تطرف في الدعوة الى التحرر من الآراء والعادات القديمة ومن تسليمه بمذهب داروين تسليما مطلقا انتهى به وبأمثاله في تلك الفترة الى الزندقة والالحاد .. وهذا الى جانب

تهافتنا على جريدة (السياسة الاسبوعية) التي
كان يصدرها ويرأس تحريرها الدكتور « محمد
حسين هيكل » ومن محرريها المرحوم الاستاذ
« ابراهيم عبدالقادر المازني » والدكتور « طه
حسين » ، و « عبد العزيز البشري » و « عباس
حافظ » ، ومنهم ، من لا بد أن يعتبر طليعة شعراء
التجديد، المرحوم الشاعر (علي محمود طه
المهندس) الذي نشر فيها قصيدة (البحيرة)
لألفونس دي لامارتين ، وقد نقلها الى العربية شعرا
منظوما ومطلعها :

ليت شعري أهكذا نحن نمضي

في عباب الى شواطئ غمض
ومازلت أذكر أول عهدي بكتاب « الاغانى لابي
الفرج الاصفهاني » ولم تكن دار الكتب المصرية قد
أصدرت من اجزائه سوى الاجزاء من الاول الى
الخامس ، وما كدت أراه مجلدا تجليدا أنيقا ، في
مكتبة الشيخ « أحمد حلواني » حتى أخذت أوفر
قيمة هذه الاجزاء من الراتب الذي لم يكن يزيد عن

سنة جنيهاً ذهبية ، تدفع (بقيمة اعتبارية قدرها عشرة ريالات) بينما قيمة الجنيه الذهبي في السوق ، لا تقل عن عشرين أو ثلاثين ريالاً .

ويصدر في هذه الفترة ، (كتاب في الشعر الجاهلي) للدكتور طه حسين ، ونقرأ في الصحف المصرية ، تلك الضجة التي أثرت . . فقرأناه وظللنا ندير الحوار حول آراء الدكتور طه وآراء من ثاروا عليه ، ونعود الى ما بين أيدينا من الشعر الجاهلي ، وعلى الاخص منه المعلقات بشرح الزورني فنجد بيننا من يسفه آراء الدكتور ، ومن يعتدل فيتروى ويطيل التأمل فيما قاله ويقول له خصومه والثائرون عليه .

واذ كنا قد التفتنا الى الدكتور « طه حسين » بكتابه هذا وبالثورة التي أطاحت بوزارة الحزب الذي نسبته الآن ، ولعله حزب الاحرار الدستوريين فلم يكن لنا مناص من التهافت على ما يكتب في الصحف وما ينشره من كتب أو مقالات وعلى الاخص

فى جريدة الجهاد . . وكانَّ الشيخ «أحمد حلوانى»
كان يتحسس اتجاهاتنا ، ويفهم مسار تطلعننا دون
أن يشعرنا بشيء ، وهو ما يمتاز به عن المرحوم
الشيخ (عبد الله فدا) وكان كتيباً عريفاً ،
ومعدودا فى الادباء والخطباء ، فاذا بالشيخ أحمد
يستورد أو يعرض فى مكتبته ، كتاب (حديث
الاربعاء) ثم كتاب (الايام) للدكتور طه حسين
ايضا . . فنشتريهما ، ونعكف على قراءتهما حينما
وننصرف الى سماع أغانى عبدالوهاب من فيلم
الوردة البيضاء من جراموفون ، نحكم سدَّ بوقه أو
سماعته بالقطن حينما أو المنشفة المبللة بالماء حينما
آخر . .

ثم فاجأنا الشيخ أحمد حلوانى ايضا بكتاب لم
يكن مما ينبغى أن نهتمَّ به أو نُعنى بقراءته ، اذ لم
يكن أدبا ولا فلسفة ، ولكنه يحمل عنوانا مغريا ،
كان عنوان الكتاب : (فقه السياسة لمؤلفه أحمد
وفيق) . . . وكان فى مجلدين ضخمين . . لا تقلَّ

صفحات كل منهما عن خمسمائة صفحة • فاشتريته
بكل ما بقى من الراتب الضئيل •• وجاء (حمزة)
من جدة ، فى احدى جيئاته ، ورأى الكتاب ،
فنظّمنا ما يشبه برنامجا للقراءة وسماع أغاني
محمد عبدالوهاب بطريقة سد البوق ، فى البيت
الذى كنت أسكنه من أملاك (ملائكة) فى ربيع
مغازل ••• ولا أذكر انى فهمت شيئا ذا بال من
هذا الكتاب ، ولكن لم يكن بد من قراءته من الجلدة
الى الجلدة ، ومن الحوار حول ، والمؤلف ، يرجعنا
الى مصادر بحثه التى لم يسبق أن سمعنا بها قط

وفى هذه الفترة أيضا ، صدرت طبعة منقحة
ومصححة ومحققة من كتاب (العمدة) لابن رشيق
••• ثم طبعة لكتاب (فقه اللغة) للشعالبي ، ولم
يمض وقت طويل حتى صدرت طبعة جيدة لكتاب
(يتيمة الدهر) للشعالبي أيضا ••



معركته مع العواد !

ولست أذكر كيف وقعت الواقعة بين (حمزة)
رحمه الله ، وبين الاستاذ (محمد حسن عواد) . . .
وأهم ما يعنيننا الآن ، تلك المعركة حامية الوطن
التي نشبت بين الشاعرين . . . معركة هجاء مرير ،
قد لا نتقبله خُلُقياً ، وقد نضيق به أشد الضيق
تجريحاً ، ومساساً بما للشاعرين الكبار من
كرامة ووزن وسمعة نقيّة وخلق كريم ، ولكننا لم
نكن نملك إلا الاعجاب بأصالة الشعر ، وبالابتكار
في تناول المهجّ ، تناولاً يُفريق في التعريض بقيمة
كل منهما ، وبالاسلوب الرفيع ، في اداء المعاني ،
وفي التصرف المذهل ، في وصف المخلوق من
الاحداث . .

وبعض هذا الهجوم قد نشر في جريدة « صوت
الحجاز » ، وهذا أغرب ما يمكن أن يكتشفه اليوم

من لم يعاصروا تلك الفترة من مسيرة الادب في
 بلادنا . . ولكن ما كان ينشره الاستاذ (عبدالسلام
 الساسي) ، ويحفظه عن ظهر قلب لكل من الشعارين
 ظلّ وما يزال هو الذي يعطينا نموذجا من الفحولة
 التي لا تقل بحال عن نقائض واهاجي الاخطل
 والفرزدق وجريير ، في العصر الاموي ، وعن ابن
 الرومي وبشار بن برد في العصر العباسي . .
 ومازلت أذكر ، والاستاذ (عبدالسلام الساسي)
 لن ينسى أبدا ، مركزنا في « الاولب » وهو تلك
 الهضبة التي تشرف على مزارع المسفلة وبركة ماجن
 . . كيف كان يقف ، ويلقي علينا قصيدة (العواد)،
 في هجو (حمزة) ثم قصيدة (حمزة) في (العواد)
 . . . ولم يكن يقرأها في ورقة مكتوبة ، وانما من
 حافظته الغريبة حقا وان كان لابد من أن نعترف
 بمشاعرنا نحو البطلين في هذه المعركة - وقد
 شارك فيها الاستاذ (أحمد قنديل) نصيرا لحمزة
 والاستاذ (محمود عارف) نصيرا للعواد ، فلا أخفى
 اني كنت أشدّ اعجابا بقصائد حمزة في هجو

العواد . . ومازلت أذكر ، انى كنت فى القاهرة ،
ولى فيها صديق أزهرى ، يحفظ المئات أو الالوف
من قصائد ومقطوعات الشعر القديم ، جمعنى به
لقاء ، دار الحديث فيه عن الشعر والشعراء فذكر
على جارى العادة فيما يذكر عن الشعر فى الحجاز
قديمًا . . . عمر بن أبى ربيعة ، وغزله ، وأخذ
يترنم :

أمن آل نعم انت غاد فمبكر
غداة غد أم رائح فمهجّر
ثم انتقل الى العصر الاموي ، والنقائض ،
واهاجى جرير والفرزدق والاختل . . ولست أدرى
كيف ذكرت أبياتا من هجاء حمزة فى العواد رويتها
له ويتعذر أن أروىها الآن وقد التزم حمزة فى قافية
القصيدة ، التاء المكسورة والهاء الساكنة . . مثل :
أهاته . . وفلتاته . .

فما كاد صاحبنا الازهرى يسمعها ، حتى وقف
مهتاجا صائحا : (يا سلام . . يا سلام . . مستحيل

أن يكون في الحجاز شعر بهذه القوة في هذه
الأيام) .

ولا بأس ، ونحن في مجال هذه الذكريات البعيدة
أن نقول : ان اخانا الاستاذ (عبدالسلام الساسي)
قد نشر في كتابه الشعراء الثلاثة قصيدة بعنوان
(ملحمة) لحمزة رحمه الله وكانت واحدة مما نشر
في صوت الحجاز . ولكننا لا نجد حرجا ، في أن
نرى ختام هذه الملحمة التي يقول فيها حمزة :
حدث الليل . . قال : وانفرد

البحر يواسيه شاطئ مهجور
ادبرت عنهما الحياة واهلها
فذا ضاحل وذا منذور
قنعا صاغرين بالواقع البنس
ويرضى بعيشه المكثور
ومضى الدهر ، لا يثقل رجلا
تستوى عنده صبا ودبور
هازئا بالفرور والضعف
والباطل والدهر بالحياة بصير

ذلك استطراد استلزمه ما لا يزال يذكره الشيوخ ،
من زملاء الفقيد ، وما لن تتم الصورة عن حمزة
رحمه الله الا باللجوء اليه ، وما أظن ، أن مما
يتسق مع الرغبة في تكامل اللوحة عن الشاعر ، أن
نتخطى ما لا ينبغي أن يُعدَّ في المبادل ، ما دام القصد
هو محاولة اكتشاف هذه القمة الشامخة .



مسيرته الثقافية ..

ونعود الى الخلفيات الثقافية فى حياة الشاعر ،
وفى حياة رصفائه فى تلك الايام .. ولا أجدُ بدءاً
من وقفة قصيرة عند لطفى السيد باشا ، فقد كنا
نتسامع بعبقريته وعلمه وفضله على العلم والعلماء
والادب والادباء ، والفكر والمفكرين .. كما كنا
نتسامع عن ترجمته لكتاب (السياسة) لاريسطو
طاليس ... عن الترجمة الفرنسية لبارتى
سانتیهيلير ... فنتمنى أن نرى هذه الترجمة
مطبوعة .. ولم تطبع الا فى عام ١٩٤٧ وأذكر
انى كنت فى القاهرة وكان حمزة رحمه الله قد
استقر فيها ، فما أسرع ما أخذنا نتدارسه معا ..
فينقضى الليل ، وينام من فى البيت من الاهل
والاطفال ... ويستيقظون فى الصباح ليجدونا

ما نزال كما تركونا فى الساعات الاولى من الليل
٠٠ وأطباق الرماد طافحة بأعقاب السجائر ،
وأكوأب الشاي تتثأب فراغا وحلق كل منا يتقصف
جفافا ، فلا نكاد نلمح من أستيقظ ، حتى نستنجد
بطلب شاي جديد ، لنبدأ أو لنواصل الحديث عن
أريسطو ، وعن ذلك الغرض البعيد ، الذى استهدفه
(لطفى السيد) من ترجمة هذا الكتاب بالذات
ومقدمة سانتيهيلير فيه على الاخص ٠٠٠ بل ذهبنا
الى أن لطفى السيد لم ينقل الكتاب الى العربية ،
الا لينقل اليها هذه المقدمة ٠٠

وآدعُ جانبنا تلك الدفقة الكبيرة من القصص
التي نشط لنقلها الى اللغة العربية أساطين فن
الترجمة فى مصر ، من أمثال المرحوم الاستاذ
(ابراهيم عبدالقادر المازني) فى قصة (ابن
الطبيعة) للكاتب الروسى المغمور (هاتز بياتشيف) ،
وقد نقلها المازني عن الانجليزية ، ولهذه القصة
فى حياتنا ، تلك الايام أثر لا ينسى ، فقد كان
يطيب لحمزة رحمه الله ، أن يسميَ كلا منا بأسماء

أبطال القصة ، ويختار لنفسه بطلها الاول أو
الاطهر الذى تدور حول حياته القصة كلها ، وهو
« سائين » ، واختار لى اسم (يورى) ولست أذكر
بماذا سمى بقية المجموعة من الاصدقاء . وقد نشر
المازني ، بعد أكثر من عشر سنوات قصة بعنوان
ابراهيم الكاتب اتهمه بعض النقاد بأنه قد سرقها
من (ابن الطبيعة) ، وقد قرأنا القصة ،
واستسخرتُ أنا رأى هؤلاء النقاد اذ لم يكن فى
وسع المازني أن يستغنى أو أن يتغلى عن اسلوبه
فيما يكتب ، من أدبه أو من الآداب التى ينقلها
الى العربية ، وكانت وجوه الشبه بين القصتين ،
تنحصر فى هذا الاسلوب الرفيع الذى عُرف به
المازني رحمه الله .

ومن القصص التى لا بد أن تذكر ، وتعتبر من
الاسس فى خلفياتها الثقافية ، قصة (تاييس)
و (الزنبقة الحمراء) لاناتول فرانس ، وكان مما دار
بينى وبين (حمزة) عن اناطول فرانس فى هاتين
القصتين ، أن انسانية فرانس ، ومعالجته لموضوع

العهر والطهر ، بالنسبة لتايس ، والراهب
بافنوس ، قد انطوت والتفت أو هي اندثرت في
الجو الخاص الذي تدور فيه أحداث الزنبقة
الحمراء ، وأن حرите المطلقة التي مارسها في
تصوير (تايس) الغانية ، ثم (تايس) القديسة
قد جمدت جمود الكريستال على الموائد المترفة ،
وجمود الماس واللؤلؤ على صدور النساء في حفلات
العشاء التي يدور حولها الابطال في (الزنبقة
الحمراء) ومع ذلك ، فلم تكن نملك اعجابنا
باسلوب فرانس وتصويره الرائع للصراع الرهيب
الذي ظل يعانيه الراهب (بافنوس) مع افاعي
الجنس التي تنهش صدره ، والذئاب الجائعة في
أعماق نفسه المحرومة من مطلبها الفريزي . . كان
صورة أخاذة ، عبقرية الملامح والالوان والسمات ،
لقدرة فرانس كفنان منطلق لا سبيل الى أن تقف
أمام ريشته وأفكاره أية سدود أو قيود . وأذكر
كيف كنا نعض أصابعنا أسفا ، على جهلنا باللغة
الفرنسية ، لنقرأ المزيد مما كتبه (اناتول فرانس)

ولم يطلّ بنا الانتظار ، فقد ترجم له من لا أذكر
اسمه الآن - وليس من أعلام الترجمة - كتابا باسم
(حديقة أو مائدة ابيقور) فيلسوف اللذة المعروف
ثم وقع في أيدينا كتاب آخر للامير (شكيب ارسلان)
عن (اناتول فرانس في مبادئه) وبذلك توهمنا
اننا قد استكملنا بعض ما كان ينقصنا عن الالمام
المعقول بأدب (اناتول فرانس) ، ومن المؤسف اننا
لا نجد من يهتم باعادة طبع هذه الكتب اليوم ، لنعود
الى شرائها ، بعد أن بعثها في مزاد .

واذ أذكر هذه القصص ، لا أنسى ، ولا ينسى
رصفاؤنا الشيوخ ، رواية نقلها الى العربية
(طانيوس عبده) تحت عنوان (أهوال الاستبداد)
لكاتب روسي نسيت اسمه الآن ، ثم (انا كارينينا)
لتولوستوي ولم تكن قصة (الحرب والسلام) وهي
من أشهر أعمال تولوستوي قد نقلت الى العربية
بعد ، ولكن لم يفتنا أن نقرأ ما يكتب عنها في
المجلات والصحف وعن تولوستوي نفسه ، ومازلت
أذكر كيف كان تطلعنا الى انتاجه يزداد ويحتم

وبالاحص يوم قرأنا كلمة نسبت الى (بيرنارد شو) يقول فيها عن كتاب لم ينقل الى العربية باسم (ما هو الفن ؟) لثولوستوي : (ها نحن نسمع صوت أستاذ بحق) ٠٠ وبالتتبع وبما كانت تحفل به مجلات تلك الايام ، عن أعظم كتاب الادب العالمي ، استطعنا أن نكون حصيلة لا بأس بها من المعلومات والافكار عن كثيرين ممن ذكرت وممن لا يتسع الوقت لذكرهم في هذا الحديث .

أما أدب المهجر ، وعلى الاخص من أدبائه (جبران خليل جبران) و (ايليا أبو ماضي) و (ميخائيل نعيمة) فليس بيننا من ينكر أثرهم في بداية مراحل هذه الثقافة الذاتية ، ومثل هذا الادب وفي بداية تلك المرحلة أيضا ، يمكن أن نذكر كتب (مصطفى لطفى المنفلوطى) ٠٠٠ ولكن ما كدنا نوغل في الأمهات من كتب الادب العربي ، وفي الروائع من المنقول الى العربية من الادب العالمي ، ولجنة التأليف والترجمة والنشر في مصر صاحبة الفضل الكبير ، في هذا النقل ، حتى أخذنا نشعر بأن أدب

المهجر يمكن أن يوقظ المشاعر ويوجهها نحو اجواء
الفن ، ولكنه لا ينميها ، ولا يبني العضلات الفكرية
القوية ، وان أدب المنفلوطي يمكن أن يصلح
للمشادة والناشئين اذ يغرى بالقراءة ، ويعين على
تكوين محصول قوي أحسن المنفلوطي اختياره من
مفردات اللغة العربية ، التي يسهل تناولها وربما
هضمها في قصة كما جدولين أو سيرانودى برجرارك ،
بينما يتعذر هذا الهضم على الشادى والناشيء ، اذا
ما قرأ « البيان والتبيين » للجاحظ ، أو « مقدمة
ابن خلدون » أو أى كتاب لابی حيان التوحيدي .
أطلت دون شك ، فيما يبدو استطرادا ، وجنوحا
عن الحديث عن القمة التي لم تكتشف، ولكنى أتحدث
عن مسيرة ثقافية عشناها مع الفقيـد فى ظروف ،
كانت فورة الشباب ، ونوازع الطموح ومشاعر
الايمان بحق الوطن علينا ، تخفف من عسرها
ووعثاء الرحلة ووعورة مسالكها ، مع ضعف
الموارد وانعدام أسباب الدعة والرخاء . . بل
وانعدام الضوء الذى نسهر به عاكفين على القراءة

والبحث والمتابعة باستثناء (الفانوس الهندي)
الذى نفضّل الحجم الصغير منه ، لندخله معنا في
« الناموسية » ، رغم شدة الحر ، واحتباس النسمة ،
هربا من البعوض ، وإصرارا على القراءة
والدرس مع عدم التخلف عن العمل في الوظائف
التي نشغلها في أوقات الدوام المقررة ، وقد كانت
تعرف البداية في الصباح ، ولا تعترف بالنهاية ،
ما دام هناك عمل يجب أن يُؤدّى ، ولو استغرق
ساعات طويلة من الليل . ولا أستطيع أن أؤرخ
لدخول ما يسمى (الاتريك) في حياتنا ولكنني
أذكر فرحتنا به حين أصبح من الميسور شراؤه ،
بفتيلته وغازه ، وعملية نفخه وشحنه بالهواء ،
ولا أخفى اننا كنا نشعر بالزهو ، حين نستعد به
لاستقبال الزائرين والضيوف ، ولعل انتفاخة
الزهو ونحن نراه يضيء (المجلس) كانت لا تقلّ عن
انتفاخ الاتريك نفسه ، مع احساس باننا -
والحمد لله - قد أخذنا طريقنا الى ما كنا نسمع
عنه ، ولا نرى له أثرا من حضارة القرن العشرين

وبعد . . فقد قلت ان حمزة شحاتة يبدو ، وكأنه قد ولد قمة منذ درجت قدماء على تراب هذه الارض ، وللقارئ أن يسمي هذا مبالغة واسرافا في التقدير ، ولا أنكر ان التعبير ينبض بهذا المعنى ولكن عندنا من الشواهد ، ما يجعلنا نتساءل ونحن نستعرضها : متى؟؟؟ وكيف ؟ استطاع حمزة أن يهضم كل الذى هضمه وتمثله من ثقافات ، مصادرها التراث العربي القديم من جهة ، ثم ماشهده الادب العربي من تطور خلال فترة يمكن أن تحدد بما لا يقل عن قرن من الزمان من جهة أخرى .

صحيح أنه كان يقرأ مانقرأ وصحيح ان ماكان يصل الى أيدينا من الكتب ، كان يصل اليه أيضا ولكن ، كيف تانى له ذلك النضج العقلي والفني وهو بين مرحلة الصبا الغض والشباب فى فجره دون ضحاه ؟



مولده وتعليمه ..

ولد حمزة شحاتة بمكة المكرمة في عام ألف وثلاثمائة وثمانية وعشرين ، وأتم دراسته في مدرسة الفلاح بجدة ، وكان واحدا ممن ابتعثهم مؤسس هذه المدرسة ومثيلتها في مكة المرحوم (الحاج محمد علي زينل رضا) للدراسة أو لاستكمالها في الهند ولست أدري ان كان قد زامل السيد (محمد حسن كتبي) أم لا ؟ ولكني لا أشك في أنه قد زامل المرحوم الشيخ (عبدالقادر عثمان) ، إذ أجد لحمزة قصيدة عارضها ، أورد عليها من نفس الوزن والقافية الشيخ (عبد القادر) وحمزة يقول فيها وهو يعارض قصيدة لشوقي :
في مطلعها :

سلام النيل يا غندي وهذا الزهر من عندي

يقول :

ولو ساعفنى الدهر	لقابلتك فى الهند
ولكنى كما تدرى	فقير عاثر الجـد
أضعت البيت والقر	شين فى التهليس والجـد
وبعت العنزة الكبرى	على صاحبنا السّندى
وأما سائر العفش	فقد صادره وجدى

ووجدى هنا شخصية حقيقية ، فقد كان أحد
ضباط الشرطة فى جدة •

ثم يقول :

لقد أوحشتنى جدا	ومالك سلوة بعدى
كلانا مخفق المسعى	وبربّندك بربرى
فأرثيك وترثينى	لعل رثاءنا يُجـدى
وقد ضيّعنى قومى	وقدما انكروا جهدى
وما بددت من وقت	وما فرقت من نقد
ولما طقّنى الفقر	وأضحت أمتى ضدى
توكّلت على المولى	وعوّلت على زنى

أبيع الفول والحلّبة والفصْفَصَ والمندى
فطوراً التقي أكلى وطورا أطفح الدردى

ولا بأس بأن نقرأ المزيد من هذه القصيدة
الضاحكة فهو يقول :

وكان الحال مستورا وأشغالى على قدى
ولى جار رقيق الحال يدعى الحاج خوجندى
ركنت اليه من غلبى فجازانى على ودّى
بأن رشّحنى يوما لدى التعدين فى المهد

وهو يقصد شركة التعدين التى كانت أعطيت
امتياز التنقيب عن الذهب فى المهد بالقرب من
المدينة المنورة

فرحت وكنت مرطانا أسمى النور ، نورمندى
فرقانى المدير الى وظيفه كاتب الجرد
وكان اذا رانى قا ل(قودمورننج ، اوفرند)
فلما ثارت الحرب وجرّ الويل هتلردى
أقالونى وردونى وصحّ الجمع فى جفدى
وناهيك بحرّنا م فى البرد بلاد قدى

والد قدى ، هو الدَّقْدِيق ، ولا أعرف أصل
الكلمة ، ولكن يقصد بها نوع من الاغطية التي
ترتفق عند النوم اتقاء للبرد كالتى نسميها
(البطانية) فى هذه الايام ٠٠ أو قد تكون العباءة
تصنع من الصوف والوبر فى جبال الحجاز والطائف
تمنى سُتْرَةَ الحال فلم يعثر على صلدى
والصلد هنا قطعة نقد ايطالية ٠٠٠

ولو انصفت الايام حابته باوكلندى
والاوكلاند ، نوع من السيارات الامريكية
الفارحة ، تصنع فى تلك الايام ، ولعل القدماء من
موردي السيارات يعرفون مزاياها ، أو يعرفون ،
ما الذى حل بها ، فلم تعد تتواجد فى الاسواق .
الى أن يقول :

فما رأيك فى امرى اذا جئتكَ والقندى
والقندى هنا هو صديقه الحميم (احمد قنديل)
الذى ندر أن يرى (حمزة) فى مكان دون أن يرى

معه القنديل وقد ظلَّ ذلك شأنهما سنين في المملكة ،
ثم في القاهرة •

وهل عندك ما يكفي من الشاول والهُرد
وهل نلقاك مرتاحا الينا ، أو شلُوجلدِي

ولا أعرف ماهو الشاول ، ولعله الارز في لغة
الهنود ، والهرد بهار معروف ، أما شلو .. فكلمة
هندية يطرد بها من لا تحب أن تراه كما نقول
(برّة .. أو اطلع برّة) ... وجلدى .. كلمة
هندية أيضا معناها (بسرعة)

وليس في كتاب الاستاذ عبد السلام الساسي ،
ما يشير الى تاريخ نظم هذه القصيدة ، ولكن هناك
ما يدل على انها نُظمت في أيام الحرب العالمية
الثانية وهو قوله :

فلما ثارت الحرب وجرّ الويل هتلردي

ونجد في (شعراء الحجاز في العصر الحديث)
للاستاذ (عبد السلام الساسي) أيضا : قصيدة

المرحوم الشيخ (عبد القادر عثمان) من نفس
الوزن والقافية يقول فيها :

تحايا الحب والوجد لأصحابي في الهند
وأشواقى تُوَرِّقْنى وترمى الجفن بالسهد
وذكرى لا تفارقنى ولو وُوريتُ فى لحدى

ومن أهم ما يلفت النظر فى هذه القصيدة قوله :

ولى أشعار أخفيها لتنشر فى الورى بعدى
سكبت حوادثى فيها وقد فاقت على العد

فالذين يؤرخون للادب السعودى ، أو يجمعون
شتاته ، قد يجدون هذه الاشعار التى يخفيها
الشاعر لتنشر فى الورى بعد وفاته ، خصوصا
وانه قد سكب فيها حوادثه .

وهو لا شك يردّ على حمزة حين يقول :

لئن ضاقت بما رحبت على الارض فى الهند
أتيت ديار أمجاد وعُزِّباً من بنى سعد
فألقيت عصا التَّسْيَار بين معالم المجد
ولأقيت من التَّكْرِيم ألوانا مع الحمد

ففى الاحساء ترحيب یرد صداه فى نجد
وفى جدة والطائف ایداد سُجِّلَت عندى

وهو يختتم القصيدة بهذه الابيات التى تعود الى
الشكوى ، من وعثاء الحياة التى كان يلقاها
فلا يختلف عن المضمون الذى ذهب اليه حمزة ، الا
فى روح السخرية الضاحكة عند حمزة ، والعباسة
الجادة عند الشيخ (عبد القادر عثمان) ، فهو
يقول :

اصيحابى تلومونى وما بقيت من جهد
أترضون بأن أحيأ كئيبا عاثر الجَدَّ
وأقضى العمر فى نصَبٍ وفى شَفَبٍ وفى كَدٍّ
واحسب مال قارون وما خردلة عندى

وفى هذا البيت اشارة الى أنه كان يعمل محاسبا
فى أحد البيوت التجارية ، التى يشبه ثراءها بثراء
قارون ولا ندرى بالطبع أى بيت هو ، فى تلك
الايام ..

واحسب مال قارون وما خردلة عندى

اضْيِيءْ كَأَنَّنِي الْمَصْبَا ح وَالنِّيرَانُ فِي كِبْدِي
 فَهَلْ فِي شُرْعَةِ الْإِنصَافِ يُحْيِي الْحَرَكَاتِ الْعَبْدِ
 إِذَا لَمْ يَكُ مِنْ حَدِّ فَانِي وَاضِعُ الْحَدِّ
 وَلَا نَدْرِي كَيْفَ وَضَعَ الشَّيْخُ (عَبْدُ الْقَادِرِ) هَذَا
 الْحَدَّ ، وَإِنْ كُنَّا نَعْرِفُ أَنَّهُ تُوْفِيَ مُسْتَوْرُ الْحَالِ مُوْفُورُ
 النِّعْمَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ .

وهذا الشعر الضاحك في قصيدة حمزة ، الذي
 تختلط فيه العامية بالفصحى ، تزعمه ولعله أول
 من بدأه ، الأستاذ (حسين شفيق المصري) رحمه
 الله وله في كثير من مجلات مصر ، وعلى الأخص
 (الفكاهة) من مجلات دار الهلال ، روائع حافلة
 بالتعبير الكاريكاتوري عن مشاكل مصر ، يبلغ
 النقد فيه بهذا الأسلوب الساخر الضاحك ، ما لم
 تكن تبلغه المقالات الجادة بأقلام كبار الكتاب ،
 والسبب بالطبع هو اقترابه من مستوى الجماهير ،
 وهي في مصر مولعة بالنكتة والمفارقة ، وقد شارك
 في هذا النوع من الشعر وبرع فيه ، إلى حد القدرة
 على ارتجاله ، الشاعر المرحوم (محمد مصطفى

حمام) . . . ولا أعرف من الذى سبق حمزة فى
المملكة ، ولكن الاستاذ (أحمد قنديل) وهو كما
قلنا صديق حمزة ورفيق دربه الطويل ، يكاد يكون
الوحيد فى المملكة اليوم ، الذى ما يزال يتحفنا به
حتى الآن .

قلنا انه ابتمت الى الهند ، وهناك من يقول أنه
لم يبتعث ، وانما طلب للعمل فى بيت الحاج
(محمد على زينل رضا) رحمه الله ، بفرض
تدريبه على امساك الدفاتر التجارية فى بيت زينل
فى جدة ، وقد لا يخلو هذا من الصحة ، اذ كان حمزة
من الاوائل الذين نظموا قيودهم التجارية ، عندما
كان يمارس التجارة مع أخيه المرحوم الشيخ
(محمد نور شحاتة) فى جدة ، بطريقة القيد
المزدوج ، وهو مالم يعرف أو يأخذ به المحاسبون
فى البيوت التجارية عندنا ، الا منذ أقل من خمسة
عشر عاما ، واذا صدق من روى لى ذلك ، وليس لى
أن أشك ، وقد كان الراوى رجلا ممن مارسوا

الاعمال الحسائية ، لاكثر من بيت تجاري ، فى جدة
الى أن أصبح من كبار الموظفين فى أحد البنوك .

ثم ، الاغرب ، من هذا كله ان تلك الآفاق
الثقافية التى كان يحلق فيها حمزة حين يتحدث أو
يكتب ، شعرا أو نثرا ، لم تكن تعتمد على مصادر
فى غير اللغة العربية اذ لم يكن يجيد الانجليزية ،
وان كان لا يجهل الكثير من مفرداتها ، ولا شك أن
اقامته فى الهند لم تتح له أن يتعلم الاوردية وهى
الاكثر شيوعا واستعمالا ، فضلا عن السنسكريتية



المكاتب .. الخطيب .. الفنان !

ومع ان حمزة رحمه الله قد كتب الكثير الذى لم ينشر ، ومنه رسائله الى اصدقائه وكل رسالة منها تحفة جديدة بأن تعتبر نموذجا لارفع من مستويات النشر فى الادب العربى الحديث ، فان ما أجده فى متناول اليد ، وأنا أكتب هذه السطور ، هو محاضراته التى ألقاها فى جمعية الاسعاف الخيري بمكة المكرمة وكانت كجميع أعماله الادبية لم تنشر ، وكل حظها من الشهرة والانتشار هو سماعها يوم ألقاها ، وكنت ممن سمعوها ، ومازلت أذكر كيف ازدحم المكان الذى ألقى فيه - وهو البناية التى كانت دائرة للبريد فى عهد الحكم العثماني ثم الهاشمي ثم نقل البريد الى القشاشية لتصبح البناية مقرا لجمعية الاسعاف - بل أذكر

كيف بلغ ازدهام الراغبين فى الاستماع الى
المحاضرة ، حد وقوف الكثيرين فى السلاسل ، وفى
الشارع يصنفون اليه وهو يلقيها بصوته الجمهوري
- وليس المنبري - ولا بد أن أذكر انه كان رائعا
فى القائه ، ساحرا فى السيطرة على أعصابه ،
فليس هناك انفعال ، ولا اصطناع للحماس ، ولا
توثب أو اشارات بالأيدي ، مما كانوا يعلموننا فى
المدارس أن نلتزم به عندما نلقى الخطب فى
الاحتفالات . . فاذا لم ننس ان جهاز الراديو لم
يكن قد انتشر فى المملكة وان فن الالتقاء الاذاعي
الحديث أو القديم لم يكن معروفا ، فان طريقة
القائه لهذه المحاضرة كانت وحدها ظاهرة ما أزال
أذكرها ولا أملك الا أن أعجب بها وأعدها فيما يُعدّ
له من تفرد وامتياز فى الكثير مما تفرد وامتاز به
مما أرجو أن يتسع الوقت لايجاز الحديث عنه .

وكأنى - والحديث عن المحاضرة - قرأت
للاستاذ (محمد حسين زيدان) ، ان حمزة قد

ارتكز واستمد عناصر محاضراته من كتاب (علم الاجتماع) لنقولا حداد وأنا أختزن ماقرأته للاستاذ (الزيدان) الى هذه اللحظة لا قول له ولمن قد يرى رأيه : ان حمزة كان يتمتع فعلا بمعدة فكرية جبارة القدرة على الهضم والتمثيل ، وكان هذا الكتاب مما تواجد عندنا مع الكثير غيره من الكتب التي ذكرت بعضها ، ولكن الفرق كبير جدا بين القدرة على الهضم والتمثيل ، وبين العمل المبتكر الاصيل في هذه المحاضرة بوجه خاص . ولا ينسى الاستاذ « محمد حسين زيدان » ، كما لا ينسى الاساتذة « محمد عمر توفيق » ، و « أحمد قنديل » ، و « عبد الله عريف » ، و « حسين بن سرحان » ، و « محمد حسن فقي » ، ان « حمزة » كان من القلائل - في العالم العربي - الذين لا يرضون لانفسهم أو لاعمالهم أن تلمع فيها بارقة اقتباس أو تأثر أو تقليد كانت أبرز خصائصه - وهي في نفس الوقت سبب الكثير من المتاعب التي واجهها في حياته - ذلك التعشق الملهوف للاستقلال

الفكري ، والحرص الممض على الابتداع ، والترفع
عن الاتباع ، ليس فقط فيما يكتب من شعر أو
نثر ، أو فيما يديره من حوار ونقاش ، وإنما في
مسيرة حياته الخاصة حتى لقد كان يتعذر على
مخالطيه وعشرائه من أصدقائه بل وأهله أن
يفسروا الكثير والغريب - بل والمذهل أحيانا - من
تصرفاته ، وليس من تفسير سوى هذا التعشق
للاستقلال والتفرد بالخصائص والسجايا وأنماط
السلوك . . .

وقبل أن استشهد ببعض ما جاء في هذه المحاضرة
من آرائه ، وفي تعبيره عن هذه الآراء كنموذج
لأسلوبه ، أحب أن أذكر ما قد يلقي بعض الضوء
على قدراته وطاقاته ، مما قد لا يدخل في الأدب
والفلسفة والفن ، ولكنه - مع ذلك - يستكمل
الصورة إلى الحد الذي يقربها من التصور وإن
كان سيظل بعيدا أشد البعد عن كشف أو اكتشاف

المكنون والسامق من سموها ، والباذخ المترف من مدخورها •

يحضرني حديث دار بيني وبين معالي الاستاذ (حسن آل الشيخ) ، عن حمزة رحمه الله ، وكان قد زاره في منزله في البجيزة ، قبل وفاته بأسابيع قلائل • • وخلاصة حديث الاستاذ الوزير عن الفقيه ، هو اعجابه البالغ بسعة آفاقه ، وعمق تفكيره وبعد نظراته وتأملاته ، وطلاوة حديثه ، وسرعة خاطره • • وأذكر أني قلت لمعاليه : ان خصيصة حمزة التي تبدو خليقة من خلائق العبقريّة النادرة ، هي القدرة على اتقان مايولع باتقانه ، بحيث لم يكن يرضى قط الا بأقصى مراتب التفوق فيما يعن له أن يُعنى بمعرفته ودرسه • • • كان لا يكتفى بمجرد الالمام ، على قاعدة الاخذ من كل فن بطرف ، وانما الذي يجهد نفسه فيه ، هو استغراق واستيعاب كل مايستهدفه من عناصر تكوينه ومادة وجوده • • • ولا يقف ماكان يولع به

عند الشعر أو النثر أو الفلسفة أو علوم اللغة العربية وتاريخها وأدبها القديم والحديث ، أو مايتصل بكل ذلك من المعارف وألوان الثقافة وأغذية الفكر ، بل ينسحب هذا الحرص على التفوق والاتقان حتى على أسباب اللهو .. فقد تعمّق الموسيقى والعزف على العود مثلا ، فلم يكتفِ بأن يكون واحدا من المعدودين في الحجاز بالبراعة النادرة في هذا العزف ، وانما عكف على دراسة الموسيقى العربية ، مقامات وأنغام ومصادر لهذه المقامات والانغام وتاريخها عند الفرس ، وفي الاندلس ، وعند الاتراك ، وفي حلب ، ومايتولد من هذه المقامات وكيف تتعاشق وأين تتنافر ، وما يقال عن علاقة بعضها بالساعة من الليل أو النهار ... ثم .. الموسيقى (صوت) .. فلا بد إذن من دراسة « علم الصوت » في مصادر من كتب الطبيعة في مستوى المراجع ، وليس في مستوى الكتب المدرسية ... كيف يحدث ؟ .. وكيف يتردد ؟ وهل يفنى أم لا يفنى ؟ ولماذا لا يفنى ؟

والدليل أو الادلة على كل ذلك ، وكيف يبلغ من تأثيره في خلخلة الهواء ، أو تمويجه وتحريكه أن تحطم (سحبة) القوس على وتر من أوتار الكمان الزجاج أو ماهو في صلابة الزجاج من الاشياء .. ثم ينتهى فيقول لى : ومنذ أكثر من عشرين عاما - ما الذى يمنع أن ي اخترعوا آلة مدمرة ، لاتعتمد على القنابل أو الديناميت أو حتى على الذرة ، وانما على الصوت وحده ؟

وقد تمنيت ان لو كان معى أو كنت أنا معه فى القاهرة ، عندما كانت اسرائيل تستعرض عضلاتها بعد حرب الخامس من يونيه فيما سُمي حرب الاستنزاف ، فتخترق بطائراتها الامريكية حاجز الصوت ، فتَهشَّم الزجاج وتهدَّم المتداعى من المباني دون أن تلقي قبلة ، وانما بالصوت فقط .. كنت تمنيت ذلك لاذكره بما استنتجته فى ذات ليلة كنا نتبادل فيها الاحاديث ، عن مواضيع مختلفة ، منها الموسيقى ... والصوت ... ولى أن أقول

اليوم ان زهده فى الشهرة وذيوع الصيت - رغم
ماثبت بعد وفاته من سطوع هذه الشهرة وذيوع
هذا الصيت - قد جنى عليه فى هذا المجال الفنى
والسخي بالعطاء ، اذ أحسب ان لو أراد حمزة أن
يكون فى عداد كبار الملحنين فى مصر ، لما أعجزه
ذلك ، وقد بلغ فى الموسيقى مستوى العلماء ،
ومازلت أذكر كيف كان يقع على الاخطاء فى تلحين
كبار الموسيقيين فى مصر ويذهب فى نقدها -
والتوائها ، أو فى اكتشاف السرقة أو التأثير
بالشيخ سيد درويش أو بمن يعرفهم من أئمة
الموسيقى التركية القديمة الى حد التصحيح بعزف
اللحن كما ينبغى أن يكون ، وتشعر ان اللحن قد
استقام فعلا بما يبعثه من الارتياح والانسجام ثم
يقول بعد ذلك : (ما أشد ما يخسر الصوت القوي
من أصالته وقدرته على الاداء بما يجنيه الملحنون
على المطربات والمطربين)

وأصدقاء حمزة القدامى يذكرون كيف كان في
مركز البطل الاول فى لعبة (الكيرم) عندما شاعت
وغزت البيوت فى الثلاثينات من هذا القرن ، اذ
اتقنها رحمه الله الى حد كان يحمل المشهورين
بالبراعة فيها على السفر من مكة الى جدة أو
بالعكس ، حيثما يكون لمباراته فيها ، وكلنا نذكر
كيف كان يندر أن يغلب . والاستاذ (أحمد قنديل)
كلاعب شطرنج يستطيع أن يتحدث - اذا شاء - عن
براعة حمزة فى هذه اللعبة أيضا . وهواة الرياضة
من القدماء يعرفون أو يذكرون على الاقل ،
ممارسته لانواعها المتاحة ، مع علمه بتاريخ اللعبة
وفوائدها ، والمعدودين من مؤسسيها أو مبتكريها
الذين لا أدري أين وقع على معلوماته عنهم ،
والرياضة فى تلك الايام ، طارئ جديد على حياة
البلدان المتقدمة فى العالم العربي ، فضلا عن جدة
أو الحجاز !؟

فارس الحوار .. والرسائل

وأما حمزة كأستاذ فى الحوار وفى الحديث
فليس من يمكن أن يكون شبيها له ، الا فيما نسمع
أو نقرأ عن كبار الفلاسفة المشائين ، كسقراط ،
وأنا شخصا لم أعرف له نظيرا حتى اليوم ، على
كثرة من عرفت فى المملكة وفى غيرها من نبغاء
باستثناء الدكتور طه حسين ، الذى قضيت معه
أكثر من نصف ساعة أيام كان مستشارا لوزارة
المعارف فى مصر ، وما يستغرب من حمزة وقد
مررنا بخلفياته الثقافية ، لا يستغرب بالطبع من
عالم كالدكتور طه ، تلقى علومه فى الأزهر وفى
الجامعة المصرية ، ثم فى السوربون .

كان يحدث أن يدير الحديث عن موضوع فكري
بحث ، يمكن أن يفهمه المثقفون من أصدقاء حمزة

ولكن أعجب ما كان يمتاز به أنه حتى وهو يتحدث
عن موضوع من هذا النوع ، كان يشدّ الاسماع ،
حتى ولو كان بين جلسائه أشخاص من عوام الناس
وممن لا يمكن أن تكون لهم أدنى صلة أو علاقة
بالموضوع . . . كان يملأ جو الجلسة حركة وحيوية
ومرحا ، بما يتتابع في حديثه من نوادر وطرائف
ونكات وتعليقات ، ولا يعفى نفسه من التمثيل
أحيانا بحركة في العينين أو الانف ، حين لا يجد
بدا من تجسيد الصورة الساخرة للفكرة أو للرجل
الذى يتحدث عنه . . . وهذا فيما يشبه تدفق مياه
السدود قوة وانطلاقا ، وحفولا بما يشبه الموسوعة
من أخبار القدماء والمحدثين ، وليس فى الادب
والفلسفة أو الشعر فحسب ، وانما فى التاريخ
والسياسة والمبادئ ، وأنظمة الحكم ، ثم ، ليس
فى التاريخ العربى أو الاسلامى فقط ، وانما فى
تاريخ اليونان والرومان والهنود والفرس والمغول
والجرمان ، والصقالبة ، وفى فلسفة كونفوشيوس ،
وبوذا ، وأثرهما على شعوب جنوب شرقى آسيا ،

ومنها البرهمية فى الهند وماطراً عليها من تغير
وتطور ، وعلاقة كل ذلك بمسيرة التاريخ والاقتصاد

أعجب من هذا كله ، وما أكثر العجيب والاعجب
فى حياته وخصائص شخصيته ، احاطته الواسعة
بسيرة وحياة بيرناردشو ، وبعلاقته بالجمعية
الفايية ، ويذهب فى هذه الاحاطة الى حد الاعجاب
بالكاتب الايرلندي العظيم ، وان كان يصر على
أنه انجليزى ، وحجته ان الرجل ، يعيش ، وينتج ،
فى انجلترا منذ غادر مسقط رأسه « دبلن » فى
صباه ، ولم يعد اليها الا بعد ثلاثين عاما ٠٠٠
وما قرأه من مسرحياته لا يعالج مشاكل ايرلاندة ،
وانما هو يعالج مشاكل العالم ، فى شخصيات ليس
بينها (ايرلندي) ٠٠ فاذا خطر لك أن تسأله عن
أديب من أدباء انجلترا ، أو روسيا أو فرنسا ، وقد
كنت أفعل كثيرا فى محاولة لوزن مدى علمه أو
معلوماته عنهم ، وفى ظنى أنه لا بد أن يجهل
الكثير ، فاذا به يفاجئنى بالفهم العميق للمدرسة

الادبية التى ينتمى اليها هذا أو ذاك ، فإذا طال
البحث ، تكتشف انه يعرف العلاقة بين هذه المدارس
الادبية ، وبين مثيلاتها فى الفنون التشكيلية •

ثم لابد أن نعرف أن حمزة قد يكون من القلة
القليلة فى هذا العصر فى الادب العربى ، الذين
يعنون عناية فائقة تكاد تكون متخصصة بأدب
الرسائل ، ولعل الذين يحتفظون برسائله من
أصدقائه يرون الآن كيف يندر أن تخلو رسالة
من رسائله اليهم من ومضات فكره وفلسفته وآرائه
وسخريته ، وهو ينطلق فى هذه الرسائل ، على
سجيته وكأنه يجد فيها المدى الاوسع لحرية الكلمة
التي لا يجدها فى مجال آخر • ولم أعرف قط ،
شاعرا أو كاتباً قناناً فى مستواه الرفيع يحرص
على أن لا ينشر الابداع والاروع من أعماله
باستثناء ما نشر أو ما اعتقد أنه ضنّ به على
التمزيق فى الاعوام الاخيرة من حياته ، ولهذا
فان مابقى من هذه الاعمال ، لا يزيد عن جزء من

عشرة أو من مئة مما كتب طيلة حياته . . أو فلنقل
طيلة ما يقرب من أربعين عاما ندر أن يمرّ فيها
أسبوع على الأقل دون أن يكتب قصيدة أو رسالة
أو أقوالا قلت انها تدخل في باب (الافوريزم) أو
الاقوال الماثورة من أوسع الابواب في الآداب
العالمية .



محاضرته الشهيرة ..

اخواني من الشيوخ يذكرون المحاضرة التي ألقاها حمزة في جمعية الاسعاف في شهر ذي الحجة عام ألف وثلاثمائة وتسعة وخمسين .. ولاشك انى سعيد الحظ حين تلقيت هدية الدكتور منصور ابراهيم الحازمي وهى الجزء الاول من كتابه : (معجم المصادر الصحفية) عما نشر من المقالات والقصائد والبحوث فى جريدة ام القرى فى الفترة من سنة ألف وثلاثمائة وثلاثة وأربعين الى سنة ألف وثلاثمئة وخمسة وستين ، وأجده يمدنى بما لم يكن فى الوسع أن أذكره اذ يقول فى الصفحة الثانية والخمسين : (أما قلة المحاضرات قبل عام ٩٣٦ م فيرجع فيما يبدو ، الى عدم وجود رابطة تجمع بين الناشئة من الادباء المثقفين) ثم يقول : (ولعل هذه الرابطة قد بدأت تبرز الى الوجود

عندما تأسست جمعية الاسعاف الخيرية بمكة المكرمة عام ألف وثلاثمئة وخمسة وخمسين ، وهى السنة التى شهدت بدء النشاط الثقافى فى القاء المحاضرات العامة ، وقد رأينا جمعية الاسعاف تجتذب الكثير من الادباء والمفكرين والاطباء والعلماء . . . ولاشك أن من يؤرخ للحركة الثقافية فى البلاد السعودية ، لا يستطيع أن ينسى الدور المهم الذى لعبته هذه الجمعية الطبية الخيرية ، والتى تأسست بعد سنوات قليلة من تأسيس الحكم السعودى فى الحجاز) ٠٠ وينهى الدكتور منصور ابراهيم الحازمي هذه الملاحظة بقوله : (الطب ، والدين ، والقضايا الاسلامية ، والتاريخ والتراجم ٠٠٠) ثم يضيف : (وهناك بعض المحاضرات التى تناولت موضوعات أخرى كالادب والصحافة والاجتماع والاقتصاد والتعليم ولكنها قليلة اذا ماقيست بعدد المحاضرات التى تناولت الموضوعات الرئيسية الثلاثة التى ذكرناها) وفى الصفحة التاسعة والعشرين بعد المئتين ، ضمن

قائمة (المحاضرات) يذكر الدكتور منصور
ما يشير الى ان جريدة ام القرى قد نشرت (خبرا)
عن محاضرة ألقاها (حمزة شحاتة) بعنوان (الخلق
الكامل عنوان الرجولة) .

ولم تنشر هذه المحاضرة كما سبق أن أشرت
ورفض حمزة يرحمه الله أن يصدرها فى كتاب،
مستقلة أو مع أى مجموعة من شعره أو نثره . . .
ولكنها ظلت المحاضرة التى لم ينسها أحد سواء ممن
سمعوها منه أو سمعوا عنها ولعلهم ما يزالون
يسمعون عنها حتى اليوم .

وهنا لا بدّ من وقفة قصيرة ، نلتمس بها نوعا
من وزن الأسلوب الذى كتب به حمزة هذه المحاضرة
وتمن من مستوى الأستاذية فى اللغة ، نحوا وصرفا ،
ومفردات ، وقدرة على أداء المعنى وانتقاء الألفاظ
التي يراعى فيها دقة الجرس الموسيقى فى اللفظ
بالنسبة للجملة ، ثم منهج التحليل للموضوع الذى
عالجه وهو كما أراده لا كما اقترح عليه وكما نشرت
عنه جريدة أم القرى . . . فقد عدل عن (الخلق

الكامل عنوان الرجولة) واختار (الرجولة عماد
الخلق الفاضل) .

والتماس الوزن هنا يعود بنا الى ما قلته من أن
حمزة يبدو وكأنه قد ولد ودرج على تراب هذه
الأرض قمة شامخة . . . ولا أقول ولد عبقرى ، اذ
خصيصة العبقرى ، ان يولد بطاقة قد تبكر فى
الظهور وقد تتأخر الى ان يتاح لها التفجر والاندفاع
بينما حمزة ، قد بدا منذ عرفه عشاق الحرف والكلمة
قمة لا تدرى كيف تكونت ؟ . . .

ولد حمزة ، فى عام ألف وثلاثمئة وثمانية
وعشرين - كما سبق ان اشرت - والقى هذه
المحاضرة ، فى عام ألف وثلاثمئة وتسعة وخمسين
فهو يومها قد أتم الثلاثين من عمره . . . ونحن نعلم
ان هذه المحاضرة ليست أول أعماله ، فقد سبق أن
ذكرت انى عرفته فى عام ألف وثلاثمئة وواحد
 وخمسين ، أي يوم كان لا يزال فى الثالثة والعشرين
 ويعرفه قبلى الأستاذ (عبد الوهاب أشي) والأستاذ
 (محمد سعيد عامودي) والأستاذ (محمد حسن

عواد) . . . وكلهم عرفوه شاعرا في الذروة وناثرا
يملك ناصية اللغة والأسلوب امتلاك استاذية
تعمقت فنها وعلمها في الامهات من المصادر .
ومرة أخرى ، أجد نفسي مضطرا أن أتساءل متى؟
وكيف ؟ أتيح له أن يبلغ هذه المرتبة التي نفترض
انه بلغها في العشرين . . . ومن المفروض انه لم يكن
الوحيد الذي تخرج من مدرسة الفلاح ولم يكن أيضا
الوحيد الذي ابتعث الى الهند ، لم يكن الوحيد الذي
قرأ ما قرأناه وظللنا نقرأه من مصادر الثقافة
وينابيع الفكر .

يستطيع من يتفرغ ، لبحث أدب حمزة ، فيما
نرجو ، ان يجمع من شعره ، ونثره ، وعلى الأخص
رسائله ، ان يجيب بما أسمّيه اكتشافا للقصة ، التي
اقدّم اللوحة عنها في هذا الحديث ، واللمحة ، لا أكثر
ولا أقل .

بلغ عدد صفحات هذه المحاضرة مئة واحد
وعشرين صفحة ، بخط يده على ورق مقاسه
(متوسط) واستغرق القاؤها أكثر من أربع ساعات

وقوطعت بالتصفيق أكثر من ثلاثين مرة واجتمع
لسماعها عدد من الناس قلّ ان اجتمع لسماع أى
محاضرة سبقتها فى جمعية الاسعاف ٠٠ فماذا فى
هذه المحاضرة ؟؟

لا يتسع الوقت لعرض الكثير ٠٠ ولكنى أستطيع
أن أقدم النّتف ، والقطوف التى تلمح ، أو تلقى
بعض الضوء على الكثير مما فيها مما لا أجد له اسما
أكثر أو أقل من أنه فكر ، وأدب ، وفلسفة ، وفن .
يبدأ المحاضرة بقوله : (عندما يكون الاقدام على
المخاطرة ضرورة ٠٠ لا يعدّ شجاعة) .

ويعلق على هذه الضرورة ، فيقول : (للضرورة
فى حساب الحياة أبعاد الأثر ، والتطور ما لعب دوره
الخطير فى تكميل أسباب الحياة الاجتماعية الا على
أساس الضرورة الحافزة .)

ويقدم أسبابا لعدوله عن العنوان الذى اقترح عليه
للمحاضرة أو لموضوعها فيقول :

(ان حديثى فى الواقع ، ولا أسميه محاضرة ، عن
الخلق الكامل كعماد للرجولة ، لا عن الضرورة

كأساس للخلق الفاضل ، أو كعماد للرجولة ، لكنى
اخترت أن أمهد لهذا الحديث هذا التمهيد ، وأن
أزحزح العنوان المقترح عن وضعه قليلا فيكون
(الرجولة عماد الخلق الفاضل) لا الكامل ، فما يزال
الكمال نشدة الحياة المطولة ووهما الذى تنساق
أبدا فى طَلَابِهِ . وما دامت مراحل الحياة تمتدّ
ولا تنتهى ، وقوافل الأحياء تسير ما يثقل خطاها
الزمن الجاهد ، وما دام التغير الدائم ، دأب الحياة
وسبيل ما فيها ، فهل نقول ان شيئا كمل ، قبل ان
يوفى على غايته ويبلغ تمامه ؟) .

ويضيف ، وكأنه يعتذر عن (زحزحة العنوان)
فيقول :

(وأنا لست أعرف معنى لهذه الحرية ، بيد أنى
ألفت أن أطلق لفكرى عنانه . . فهذا عندى أخلق ،
بأن يجعلنى أكثر شعورا بحياتى ، وفهما لها ، وأنا
طامع بعد ، فى أن تحمدوا لى نتائج هذه الحرية ان
شاء الله) .

ثم يفلسف ألفته فى اطلاق العنان لفكره فيقول :

ر لا تكون النظرة الى حقائق الحياة والفكر خالصة
الا من أناس يرون أنفسهم فوق قيودها وقوابلها ،
وهؤلاء يدعون بالمجانين تارة ، وبالفلاسفة وقادة
الفكر تارة ، لأن حظ الصفات والمبادئ والنزعات
يرتبط دائما بحظ الداعين اليها والمتصفين بها من
النجاح . هذه حقيقة فطن لها الناس من القدم فقالوا
كثيرا ما معناه :

الناس من يلحق خيرا قائلون له

ما يشتهي ولأم المخطيء الهبل
ليس هذا حظّ الأحياء فحسب ، بل حظ المبادئ
والاغانى والنظريات ، والفضائل وحظ موقفى
بينكم الليلة (٠٠٠)
ويمضى ، فيقول :

(وأنا أريد التجربة ، والتمرية كباحث ،
لا كمحاضر ، فانى لو قصرت كلامى على الرجولة أو
على الخلق الفاضل ، خشيت أن يتحوّل حديثى الى
موعظة ، لا تعدو أن تكون تمّداحا جماسيا بالفضائل
دون تحليلها وردها الى مصادرها ، وتحديد قيمها

ومعاييرها ، وأثرها من صميم الحياة ، وعلاقتها
بالنفوس) .

والتجريد مبدأ قديم لى ، وهو مرضى الذى
لا أشفى منه ، عرفنى به من عرفوا طريقتى فى الحياة
ومن قرأوا نظراتى القديمة فى الخير والشر ، وفى
الفضائل والرذائل ، وفى الحب . . وفى الشعر) .
(فاذا ظن ظانٌ ان فيما أقوله الليلة خلطاً أو
اطلاقاً أو شذوذاً ، فانما يكون هذا الظن معقولا
لا أضيق به ، فهو عندى شبيه بالنظرة الى مجهول
لم يتكشف ، لا الى مجهول أخذ سبيله فى التكشف
والوضوح) .

ويمضى بعد هذه المقدمة القصيرة ، فى ما يشبه
التحليق تارة ، والفوص تارة ، وراء موضوعه ،
بحيث يرينا دنيا مترامية الأطراف . تلتف فيها
خمائل الفكر ، وتتفتح فى ساحاتها مساتير الحقائق
وتتألا فى سمائها وأفلاكها انهار من الضوء تمعن
فى أبعاد سحيقة ، قد تحتاج لاستيعابها الى منظار
مقرَّب يسعفك بالتفاصيل ومقومات البناء والتكوين

وتسرف فى الاقتراب والاشعاع ، حتى تبهر البصر ،
وترهق أو تزلزل ما استقر فى الذهن من القواعد
والأسس للكثير من المسلمات والبدهيّات •

وقد رأينا فى هذه المقدمة على قصرها ، مستوى
الأسلوب ، الذى سبق أن تحدثتُ عنه ، وما أظن ان
أحدا من الكتاب فى المملكة ، وفى غيرها ، تلك الايام
قد بلغ هذا الأوج من الجمال والترابط وتوخي
جرس اللفظ فى اتساقه مع الجملة ، وهذا الى
الأستاذية ، التى لا تقف عند حد المعرفة المتمكنة من
اللغة ودقائقها ومن نحوها وصرفها ومناهل البلاغة
ومآتيها ، وانما تتخطى كل ذلك الى فنية الاستدّة
إذا جاز التعبير •



شعره ..

وقبل أن أمضى فى التحدث عن الشعر والاقوال
أجد نفسى ملزما ، بأن أقول ، ان حمزة رحمه الله
لم يمارس كتابة القصة أو الرواية أو المسرحية ،
أو هذا هو الأرجح عندى ، بعد أن أتيج لى استعراض
ما بقى لدى ورثته من أعمال .

- الذى نشر من شعر حمزة شحاتة ، ليس أقل
القليل فحسب ، وانما هو قطرة من بحر ، والذى لم
ينشر وتفرَّق لدى بعض أصدقائه ، لا سبيل للوصول
اليه الا بأن يتكرموا ، فيبعثوه الي إذا شاءوا ، أو الي
معالي الوزير الاستاذ (حسن عبد الله آل
الشيخ) فاذا عَنَّ لهم الاحتفاظ بالأصل فاني أرجو
- وبالحاح - أن لا ينسخوه بخطوطهم أو بالآلة
الكاتبة ، وانما بخطه شخصيا ، أو بخط ابنته وأنا

أعترف الخطيئ ، واستطيع أن أقرّر صحة نسبة الأثر اليه ، وباعث هذا الرجاء ، هو استبعاد الانتحال ، أو شبهته ، فقد قرأت قصيدة نسبت اليه ، ونشرت في احدى صحفنا المحلية ، ولم أجدها في مستوى شعره وأسلوبه وخطر لى انها مما نسب اليه خطأ مقصودا أو غير مقصود ، مع ترجيح جانب حسن النية على كل حال . وانى أرجو الاخ الاستاذ (عبدالحميد مشنص) ، الذى نشرها فى الصحف أنه يعتزم نشر مجموعة من شعر الفقييد ، ان يتكرّم هو أيضا ، فيدفع بما لديه الى معالى الوزير ، وأملّى معقود على أصحاب الحق من ورثته أن لا يمانعوا فى أن يقوم المجلس الأعلى للعلوم والفنون والآداب ، بنشر ما يجمع من الشعر والنثر والمحاضرة أيضا .

أما ما بقى ، ورَجَّحت انه قد ضنَّ به على الحرق والتمزيق فى السنين الأخيرة من أيامه على هذه الأرض ، فلا يتسع المجال لدراسته وتحليله أو نقده كما لا يتسع لعرض الكثير منه ، ولذلك فانا اختار

له - أو فلاقِل انى ألتقط - مقطوعة قصيرة نوعا ،
ومقطوعة أخرى ، كان قد نظمها فى جدة عندما عاد
إليها منذ سنوات وقد وافق على ان تسجّل وتذاع ،
وحضر معى تسجيلها ، يقول فى هذه المقطوعة :

ياشعاعا يلوح فى ظلمة اليأس ويخفى .. ماذا يطيق البصيص ؟
لست الا وهما يراود عينيّ ويعيا بكشفه التشخيص
او شراعا أعيته نائرة الموج ، فصدر يطفو ، وعجز يغوص
يا لنا ، طائرَيْن ريعا عن الوكر فهاما ، والليل داج عويص
فهما فى القلام داع مهيض ، لسليم جناحه مقصوص

★ ★ ★

ما أرى فى البقاء الا عِلالاتِ خيال مألها التنفيس
والردى صائد النفوس فمافرّ كناس منه ولم ينبج عيص
فعلام العناء ، يُضنى المجذّنين ويصلاه طامم وخميص
يا لها رحلة برانا بها الجهد ، ولكن قد عزّ فيها النكوص

★ ★ ★

يامجال الأفكار، ضقت بها خطوا وثيدا، فكيف .. كيف النكوص ؟
أى دنيا تلك التى غلبت فيها على الحق سفلة ولصوص

قال قوم : زماننا دون ازمانٍ تقصّت ، واهوز التمهيص
انما الناس منذ كانوا : ضعيف لقوي ، وقانص وقنيص

★ ★ ★

يا فسيلا قد غصّ بالماء ريثاً ذاك نخل نصيبه منقوص
قد شغفنا بالأعين النجل حباً وسبت غيرنا العيونُ الخوص
قال لى صاحبي : سيصلح شأن الناس يوما فهانئ التخريص

★ ★ ★

قصرت من ثيابها ، فعنا المفتون صمتا ، وأمسك الترخيص
جَبِينا ، يا تلك ... دعوة اعضائك في ما يشفّ عنه القميص
حسبنا فتنة الانوثة ، شتّها علينا شسباكها والشصوص
شهد العقل ، أن عيش الخليين على ما فقهُتْ ، عيش رخيص

★ ★ ★

سالت : ما هو القضاء؟؟ فاطرقت طويلا . أما هدتها النصوص؟
وارانى ، لو قلت شيئا ، لأزرى فيه الاسهاب والتلخيص
نحن بالله ساكنين ، وماضين فماذا ارواحنا والشغوص ؟
أترى ما يصيبه المرء في دنياه أمرا ، قد كان عنه محيص
ما أصاب القضاء منا غفولا - قبل حين - ولا اتقاه حريص

★ ★ ★

أيها المرتجى مكوّنا على الارض تهيأ فقد دعاك الشغوص

حوار مع حكمه ..

أما أقواله ، التي قلت انها تدخل فيما يسمى (افوريزم) أو الأقوال الماثورة ، فاني ألتقط منها القليل الذي يعطى فكرة عن مستواها وعمقها وما أقرأه في بعضها يجعلنى أرجح انه قاله ، فى أيام صباه أو فجر شبابه •
يقول رحمه الله :

● ان من لا يندفع الى الامام ، يدفعه تيار الحياة الى الوراء •

● الفاقة تقتل أشرف الدواعى فى النفس •

● الهوان يصبح سهلا بالممارسة ، ككل شىء آخر

•• وما أصدق المتنبى فى قوله :

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت ايلام

● الجمال منجم غني بالاعاجيب والذخائر
النفسية ولكن الرغبات لا تصطرع حوله ، كما
تصطرع على منجم فحم •

● الحب لمن يدمنه كالخمر عند من يدمن عليها • •
كلاهما يشتري هذه النشوة والخدر اللذيذ بصحته
وماله •

● ما نفع الحرية لمن ليست له رغائب •

● عندما تتلامح عينان متفاهمتان يكون هنالك
لحن موسيقى مشترك •

● أليست حياة المتسول خيرا من أن يكون الانسان
موضوع رحمة الآخرين ؟؟؟

● لا أحد لبواعث الالم عند من يحس ويدرك •

● لا يجمل أن تتجرد الحياة من قانون الرحمة • •
ولكن يجب أن تتجرد ممن يطبق عليهم هذا القانون

● انى أتقبل الكذبة أحيانا ، لا لانى لا أعرف
زورها ، ولكن لأتفادى هول الحقيقة المستترة فيها •

فاذا قال لى حبيب : أنت وحدك ملء قلبى وشغله ،
وكنت حينذاك المحروم مما يناله مزاحمى السعيد •
لا أقول له : انت كاذب •• لأن هذا يجرمنى حتى من
الكلمة الطيبة أو من العزاء •

● ان المستحيل يتحقق أحيانا •• فلماذا نياس؟؟
● علمتنى الحوادث ، أن غير المعقول يقع كثيرا
● ليس فى الدنيا تجارة يكثر فيها التفابن
كالزواج •

● المطالب التى تتحقق كاملة تكاد تندر فى حياة
الأمم والأفراد ، وهذا علة ان الصراع فى الحياة
لا ينتهى •

● أى انسان لا ينقلب ابا حيا شريرا عندما تتحطم
كل مجهوداته الشريفة فى سبيل النجاح ••• ان
الصبر على مثل هذا الصراع القاتل لا تطبيقه الا
قوى الأنبياء فقط ••• وحتى الأنبياء - ألم يكن
متوقفا أن يملوا الكفاح لولم يكونوا واثقين من

النتائج؟؟؟ كيف أبقى فاضلا اذا استحال أن أنتفع
فى حياتى بأى محاولة شريفة ؟

● أى رجل لا ينقلب طفلا - على الاقل فى باطن
نفسه - عندما يعشق ؟

● أليس ادعاء الشرف عزاء من أخطاء النجاح . .
ولكن ما هو النجاح؟؟

● فى شبابى عشيت شيئا . . وفى شيخوختى
تشبثت بعيش الشباب ، فأضعت شطري عمرى هباء
● كلما قلّ نصيبك من الاحساس ، وجدت الحياة
ممتعة .

● المعركة الابدية بين الرجل والمرأة غير
متكافئة ، ينتصر فيها الرجل باستمرار . . ولكنه
الضحية دائما .

● اليأس ، ليس فقدان الرغبة فى النضال . .
لكنه فقدان الايمان بجذواه .

● ما الابداع اذا كانت الصور التى يعطيها الفنان

هي ذات الصور التي تقدمها الحياة ؟

● الآن فهمت .. ان الانسحاب من الممارك حكمة
اكثر منه جبنا .

● لم يبق في المرأة ما يثير الفضول ، ومتعة
الاكتشاف ، ولذة التعقيب ... بعد سفورها .

● الذين جملوا المرأة بالوسائل الصناعية ، لم
يفقدوها سحر الأنوثة الطبيعي فقط ، بل جعلوا
منها صدمة لعواطف الرجل وخياله .

● أعقد عملية خداع في العالم ، تلك التي يقوم
بها دور الخطوبة بين رجل وامرأة .. لأن المخذوع
فيها يعتقد أنه الخادع .

● مضاضة الحرمان من المرأة ، أخف وطأة من
مضاضة الارتباط بها ، حيث يتعذر الخلاص منها
بلا كارثة .

● لا حد لصور الشقاء البشري ، ولكن فقدان
الحرية هو أفظع هذه الصور .

● اننا أمام جيل جديد من النساء ، يفهم أن الرجل منتج للثروة والمرأة مستهلك لها .

● ليس هناك فرق بين أن تكون الغالب أو المغلوب اذا ناضلتك امرأة . . فانت الخاسر وحـدك فى العالـتين .

● اللذة ، كالالم كلاهما وليد الانفعال والتوتر ، لذلك كان كل ما لا يثير انفعالا وتوترا مؤلداً للسام ، حتى الجمال .

● لا ينسى الطائر السجين ، الطيران ، مهما طال سجنه ولكن الانسان ينسى الحرية تماماً بطول الاستعباد . . هذا أغرب فارق بينهما .



كلمة الختام ..

والآن ... وقد فرغت من تقديم هذه اللوحة عن الشخصية الأدبية عندنا ، التي زعمت انها القمة التي عرفت ولم تكتشف ، أعلم أن بين من يقرأون هذا الحديث ، من يطالبني بأن أضع أنامله ، أو أفتح عينيه ، على ما يثبت انه (قمة) ويدفع عني تهمة اسرافى فى الثناء عليها ، مذهب من تجرفه العاطفة وقد فقد ما يخفف من قوة تدفقها ضوابط المنطق والعقل ، بل ضوابط العلم بمكان القوة ومناجم المعادن الثمينة ، التي تدعم بالحجة ما زعمت .

وهذا مطلب أعترف بأنه عسير على من يكتب لمحة تستعرض القليل من أفكاره ، والومضة من فنه ، والنغمة من علمه ، والشريحة الصغيرة المحدودة

من سيرته وخلفياته الثقافية ٠٠٠ ولكنه لا يتمذر ولا يتعسر على من يفرغ للأكثر والأوفى من هذه الافكار ، ومن هذا الفن ، ومن هذا العلم بالتحليل والتتبع وفحص واختبار ما يبدو لكاتب اللوحة - وهو في عجلة من أمره - مبتكرا واصيلا ويتضح للمحلل والباحث أن له منابعه وأنه يتفاعل في نفس هذه الشخصية من مصادر أوكد أنها كانت أكبر وأعز نفسا من أن تتعمد النظر أو التلفيق أو التعمية أو الايهام والتمويه ، ولكنى لا استبعد أن يكون مما تمثلته تلك المعدة الفكرية التى قلت انها جسارة الهضم والتمثيل .

ومن يفرغ لعمل من هذا المستوى ، لا بد أن يجد الوقت الذى يكرّسه لموضوعه الواحد ، ولسوء حظى وحظ حمزة شحاتة معى ، انى لست ممن يجدون هذا الوقت الآن على الأقل ، ولا أتحدث عن المستقبل وما بقى من العمر والجهد لا يشجّع على أن التزم بشيء ، أو أن أعد بما أصبحت أعدّه حلما من الأحلام

ليس بالنسبة لدراسة وتحليل ونقد آثار حمزة
شحاتة فقط ، وانما بالنسبة لكثير ومتعدد ومتنوع
من أعمال أدبية وفكرية تتجمع الرغبة في التفرغ
لها ، بل حتى في التفرغ لجمع وتبويب ونسخ
ما يصلح منها للنشر ، ولكن سرعان ما تطوقني
الالتزامات الأخرى ، فتتسلف كل ما يتجمع ، لتتركني
مكرها على جرّ العربة المثقلة بالاعباء بينما نظرتي
ترامق تلك الأحلام .

ومع ذلك . . . أفليس لذيذا وممتعا أن نظل
نعيش ما بقى من أيام العمر كما عشنا ما مضى منه
حالمين بالكثير والخطير دون أن نحقق في دنيا الواقع
الا القليل والتافه والنزر اليسير .

بلى . . . في الشعور بهذه اللذة والمتعة عزاء كثيرا
ما أعان على البلوى وأسعف بالصبر الجميل . .

مقطعات من المحاضرة

● المجازفة في تاريخ نشأة الحياة ، في تاريخ تطورها ، قادت روادها الى القمم الشامخة ، وأعانت على كشف مساتير الوجود والفكر .

● الركود في تاريخ أمة ، تتطلع الى ما وراء حدودها الجامدة ، شر من الخطأ .

● الاذواق متى ألفت أن تصيب لذتها من جمال محدود ، تآقت بعد الفته ، واستصفاة معانيه الى ما يكمن وراء حدوده الظاهرة .

● ادمان النظر الى الصورة الجميلة ، يفقدها شيئاً من تأثيرها القوي ، كلما تجدد اليها النظر المشغوف وارتوى منها الحس المنهوم ، حتى تفقد مقدرتها على التأثير والاداء .

● الناس ان أدهشهم الرجل العادي لانه لعب على
الحبل بمهارة ، لم يقنعوا من البهلوان الشهير الا بما
يدخل فى حدود السحر من الأفعال الخارقة .

● ان كان الانسان المتحضر اليوم لا يعيش كما كان
يعيش سلفه ، فان قلبه لا يزال ذلك القلب ، وقريحته
الشعرية ما تزال تلك القريحة ، وما تزال أسباب
الحب ومشاكله أو ابتعاثاته وأوهامه فى نفس شاعر
اليوم ، هى ذاتها فى شاعر الأمس .

● الشئ قد يكون صحيحا فى ذاته ، وصحته
لا تستدعى صحة الفكرة عن الاعتراف بإمكان
تطبيقه أو استحالة هذا الامكان ... ولا تستدعى
الايمان به أو رفضه .

● حسبكم أن تقرأوا اليوم فى الحجاز أساليب من
الشعر وأساليب من الكتابة ، لا يختلف بعضها ، عما
تعرفون لخيرة الكتّاب والشعراء فى مصر ... فمن
الذى يعد هذا تقليدا أو سرقة؟؟ انما هو أثر
الاشتراك العام فى مؤثرات فكرية متشابهة ، وأثر

انتشار الثقافة ، وتهيؤ أسباب العلم بمستحدثات العقل والفكر والصناعة والفنون ، وتوثق الصلات الفكرية والأدبية ، وتوحد اللغة والدين وتقارب الطباع والأمزجة ، وتأثير الاختلاط والامتزاج الاجتماعي والفكري . . . وفي شعراء مصر من نجد على شعره سمات شاعر عربي قديم وطابع صياغته وفي كتابها من نجد في آثاره ما يعلن صلته الصريحة بأديب من كبار أدبائها . . . وفي كبار أدبائها من تطالعنا آثاره بأفكار أديب أو نظرات أو مذاهب فيلسوف من الغرب .

● الخلق الفاضل . . . يعرفه الناس ، فلا يزيدهم فهما له ، أن تقيم الكلمات والتعاريف حدوده ، فهم يكذبون ويخونون . . . ويؤمنون بأن الصدق والأمانة نبل .

وهم يتبدلون ويشعرون أن العفة سمو .
ويظلمون . . . ويقصدون العدالة .

فالفضائل اذن صفات وأعمال تؤمن الجماعة

الغالبية - اصطلاحا - بفائدتها وضرورتها أو بأنها

خير .

والرزائل صفات وأعمال تؤمن الجماعة الغالبية

- اصطلاحا - بضررها ، أو بأنها شر .

فالنفع والأذى أساس الاعتبار في الفضائل

والرزائل .

● الرجولة ، في ميزان الاعتبار الادبي ، ليست

هي الفارق الطبيعي بين جنسين ، ولكنها مجموعة

من الصفات الرائعة في خلق الرجل الرائع .

● لو أردت أن أضع تعاريف أدق وأكمل للفضيلة

والرذيلة ، والرجولة والأخلاق ، لوجب أن أسوق

أمامي قطيعا من أفكار الحكماء والعلماء والأدباء

والفلاسفة . . وأكون قد عرضت عليكم بضاعة

غريبة . .

● إذا انهزمت الرذيلة في مجال الحياة الظاهر . .

لم تنهزم فى مجالها الباطن ، فعرشها ما يزال موطن
الأركان فى النفوس .

- الايمان الكامل الصحيح بالفضيلة معرفة . .
وعمل تقتضيه هذه المعرفة ثم ارادة . . وحرية .
- الايمان بالفضيلة دون العمل بمستلزماته
ضعف لا يتناول حقيقة الايمان بل يتناول قوة النفس
وضعفها ، وفطورها ونشاطها ، فهو ايمان المعرفة
لا ايمان اليقظة .

- لون آخر من الايمان بالفضيلة تولده الضرورة
لا يكون لاختيار الارادة فيه مجال ولا لحريتها
مساغ ، كايان المرء بضرورة الثبات مع الاستبسال
دون نفسه أمام خطر داهم ، لا مناص له من مواجهته
فالثبات هنا ليس ايمانا بالثبات ، والعمل
بمستلزماته ليس عملا بمستلزمات ايمان يقوم على
اقتناع الحرية المختارة لكنه ايمان ضرورة بهذه
المستلزمات والاستجابة لها . فهذا ايمان ،
وعمل بمستلزماته وارادة ظاهرة .

لا ينقصه الا الاختيار ليكون ايمانا كاملا . . ففيم
يختلف عن ايمان رجل تحمله بالسيف على أن يؤمن
بأن الصدق خير من الكذب . . على أن يكون
صادقا؟؟ فاذا عرف وصدق ، فانما يكون هذا
ايمان ضرورة ، وعملا آليا لا اختيار له فيه ولا
حرية ، وانما يكون ايمانا تنقبض عليه نفسه
كلما مارسه .

● الانسان كما يشاء أن يفهمه الناس . . غير
الانسان كما هو في نفسه .

● لرب رجل يأتي الامر تظنه خيرا كله ، وهو
سبيله الى الشر والاذى وانتهاك الحرمات ومطية
الى أغراض خائنة تسبح في دم الضحايا . . يرى
اعجابك واعجاب الناس بما ظنوه خيرا ، فيتהלل
لأنه عرف مكانه من براعة الحيلة ونفاذ الدهاء . .
فوارحمته للانسان من أخيه الانسان . . .

● الوعظ يمسّ النفوس . . ولا يرجها . ويشير
فيها الرغبة ، ولا يوقظ الارادة ، ولا أريد لحديثي

الليلة أن يكون موعظة تلفّ النفوس فيما يشبه الغيم
الرقيق ، لا هو يجلوها ، ولا هو يتركها ، في غياها
المطبقة •

● فرص الحياة شائعة يأخذ كل فرد في الجماعة
بنصيبه منها •

هذا يطارد الغزال • • وهذا يكمن له •

هذا يصيد أكثر • • لأنه أكثر قوة وحيلة •

لا يصيد كثيرا الا الأقوى •

القوي يعيش • • والضعيف يموت •

هكذا آمن الانسان بالقوة ، وبمظاهر اقتدارها •

وهكذا آمن بالحظ • • والزعامة • • والبطولة •

● ألسنا في القرن العشرين • • وفي دولة الفكر

نرى أن القوة مصدر السلطان • • وان سلطانها

عطل قوة الروح •

● الفقير ، يشعر شعورا متطرفا بشكوى فقير
مثله أو دونه •

الغني لا يشعر كشعوره ، الا نحو غني من درجته
أو أقل قليلا •

● الفقير يعرف حرارة الجوع •

● الغني يعرف حرارة الاضطراب لبيع منزل ••
المسكين عنده من اضطراب الى بيعه •• فهو في دنيا
غير دنيا الفقر •

● النعمة لا تبطر •• ولكنها قوة تجعل الانسان
انفراديا •• فهي تسد مسام الشعور والاحساس
وتغلق نوافذ النفس •

ليس الاغنياء كلهم هكذا •• ولا الفقراء كلهم
هكذا

هناك غني يشعر وتستجيب دواعي نفسه ، ولكن
في الالف

وهناك فقير لا يشعر ولا يستجيب .. ولكن في
الالف

● ليس في تغلب قوة على قوة تغالبها ، في
ميادين التطاحن ، شر ولا رذيلة .. كلتاها تعمل
للبقاء والسيادة وكلتاها تدافع عن حق تراه حقا
فالنزاع بينهما مشروع كما كان النزاع ، بين
الانسان والحيوان مشروعا .

● ماتزال الجماعة أقل دقة ، وأسرع ايمانا
وأعمق استجابة من الفرد

● تضيق حرية الفرد كلما تقدمت أطوار الجماعة
اجتماعيا ، وكلما تكاثرت الروابط الاجتماعية ،
واتسعت الحدود لحرية الجماعة فيها .

● التمثيل قديم في حياة الانسان .. الارجح
انه عرفه بعد أن عرف النار وتجمع حولها للدفع
واللعب . رجل لدغته النار فقفز ، وتوثب على
رجل واحدة ، وامسك موضع اللدغة بيده .. هذه

مفاجأة يضحك لها الناس ، لان فيها شيئا غير الجد
المحض •

اذا قلده أحدهم ضحكوا أكثر ••
هذا تمثيل •• ثم هو رقص •••

هكذا اتسعت الحياة رويدا

والناس يمثلون •• ويقلدون بعضهم ، فى الجد
والهزل ، لتحبهم الجماعة

● المزاولة والتقليد أقدر على ترسيخ السجايا
وتحويلها الى مشاعر وأخلاق ثابتة من أحكام
الضرورات •

● الحمار - وعلاقتى الادبية به قديمة جدا -
وعفوا - تضيق دائرة اتصاله بالانسان ، ولا يتخطى
حدودها الضيقة ، لذلك كان تطوره التخلقى أقل
مرتبة من تطور الكلب •

لبيرناردشو ، الكاتب والفيلسوف الانجليزى -
حمارة ، ما أشك فى أن لها نصيبا وافرا من الادراك

تخطت به حدود بنات جنسها وأبنائه كثيرا ، ان
اضطرد القياس . . وماله لا يضطرد .

● الثروة . . . أقدر على تحقيق المطالب
والرغبات وبسط النفوذ من قوة الجسد وقوة الفكر
● الفضائل أنانية مهذبة . . والردائل أنانية
عارية

● اذا عطفت أنا على مريض ملقى في الطريق
وواسيته ، لا أنال التقدير يناله رجل بارز في
المجتمع يفعل فعلى . . .

● بعض المعائب والردائل ، يوسّع لها العرف
العام صدره ، متى كان المتصف بها قويا وذا نفوذ
● رقة الجانب ، والبشاشة ، والدعة ، وصدق
الشعور ، والاريفية ، ونبل الاتجاه ، والايثار ،
في رجل فقير لا تساوى كلها في ميزان الفهم
والاعجاب ، ابتسامة فاترة أو ايماءة مكرهة من

رجل ذى نفوذ ولتكن بعد ذلك بارقة كاذبة لا أمل فيها .

● الناس مايزالون يترنمون بالصدق ويحضون عليه ولكننا لانجد له أثرا بينهم ، وقد أصبح الكذب وماولد من رذائل المكر ، والخداع ، والمداهنة ، والتصنع ، والمداورة ، والرياء ، قانون الحياة الاجتماعية .

● اذا قال قائل : ان حظ الفضائل آخذ فى الادبار ، لم يقل الا بعض الحقيقة .. الحقيقة كلها ان حظ الفضائل قد أدبر وزال .

● وارحمتهاه للضعفاء .. لماذا لايتعلمون فن القوة اذن ليكونوا أقوياء ؟!

● ما من فضيلة تمارس الا وفى أطوارها دلالة على قهر النفس ، وكبح غرائزها وجهاد لمطالب هواها فلا جرم ان يكون اعجابنا بها اعجابا يؤدى معنى الاعتراف بقيمة شيء نجد صعوبة فى اكتسابه أو

نحسّ هذه الصعوبة فى اكتسابه . . وما تفلو قيم
الاشياء - عادة - الا بمقدار الصعوبة فى الحصول
عليها ، والا بمقدار الحاجة اليها

● الايمان بالقوة ونفوذها ، هو حقيقة الحياة ،
وهو قانونها فى القرن العشرين ، وفى القرون
الاولى ، وفى أطوار الحياة القديمة البعيدة .

● الدعوة الى الفضائل حلم جميل بالحياة كما
يجب أن تكون ، لا كما هى كائنة . . حلم ماتحققه
الا القوة .

● الكرم لم يكن فى أول نشأته تضحية وايثارا
وغراما بالبذل ، انما كان - ولا يزال - دلالة
افتخارية على اتساع نفوذ القوي ومقدرته على
مواصلة الجد والانتاج . . على أنه لايتناول الا
الزيادة . . وسبيل تعويضها ممهودة هينة بعد
اتساع رقعة التجربة والسعي ، وامتداد مذاهب
الحيلة ، وحنكة المزاولة واتساع الثراء . ثم هو
بعد ، صفة لازمة لمن تحلهم قوتهم من الجماعة محل

الابطال والقواد .. فالكريم أكثر أعوانا وأبعد صوتا ، وأعمق أثرا فى النفوس وأرفع منزلة فى العيون .. ولا يزال فى الناس من ينزلهم كرمهم منزلة الزعماء المسيطرين . والكرم فضيلة متعددة .. لذلك كان الثناء والاقبال على تمجيدها أكثر من الثناء والاقبال على تمجيد العفة .. مع أن العفة قهر صارم ، ورمز للقوة أكثر مما يكون الكرم الذى هو فى معناه وطبيعة دوافعه ، انتفاء للخوف من الفاقة ، أو تأكيد للمقدرة ، أو استغراق فى لذة نفسية ، أو سعي وراء مطلب أدبي يكون أغلى من المادة المبذولة فى نفس الباذل .

● ان كان الكرم شعرا وحماسا وخيالا جميلا ، فان البخل حكمة وفلسفة وفهم عميق .

● الكرم يعطى لياخذ ، والبخل اكتفاء .. وماعاب الناس البخل الا لما فيه من أثر الانانية الواضحة ، واعتكاف فى حدود الذات ... ونحن

نراه أنانية محدودة قانعة .. ونرى الكرم أنانية واسعة جشعة .. همّها استرقاق النفوس والالسنة وذيوع الفخار وتحقيق المطامع ، والاستمتاع باللذة الخفية .

● القناعة .. كانت فضيلة — ولا تزال فضيلة الصابر المحروم — لأنها رمز الاكتفاء القوي عن الناس ، والتحكم في مطالب النفس ، وحد طماحها ، ترفعا عن التدلى لالتماسها منهم . ولكنها اليوم فضيلة خاملة ، توشك أن تنقلب رذيلة في عرف الحياة الراهنة ومصطلحات طورها الحديث فهي معدودة في الفقير تسليما بالمعجز عن ادراك الرغائب وفي الغني دلالة الاستكفاء .

ولو قلنا : انها في الغني والفقير دليل سمو النفس وترفعها لم نقل حقا .

ولايسعنا أن ننكر ان قناعة الفقير والضعيف والعاجز ، عزاء يلتمس لتخفيف وطأة الشـعـور

بالحرمين عن النفس • وهذا المتنبي يقول :

كل عفو أتى بفراق قدار حجة لاجيء اليها اللئام

فالعفو عنده ، لا يكون الا من قادر • • وهذا

مطابق للاصطلاح • • فلماذا لا تكون القناعة

فضيلة - ان كانت - الا ممن تتوفر فيه المقدرة على

تحقيق الاطماع •

● من الذى يرى أن عفة الشيخ فى طور كلاله

واسترخائه فضيلة ؟؟؟ انما هى فضيلة السن وقانون

الفتور • وليست فضيلة القوة والصبر والمغالبة ،

كما هى فى الرجل القادر على تأمين مطالبه •

● الكذب فى المدينة العامرة ضرورة اجتماعية

واقتصادية ، تعين على الرواج ، وانتعاش حركة

التبادل والاقتناع •

فلو ساد الصدق فيها أصيبت مجالات الحركة

والنشاط بركدة يتضاعف معها الشومر بأعباء

الحياة وهمومها •

● الكذب دليل فقدان الثقة بنفع الصدق ..
وهو أكثر الرذائل نسلا ، وأرثشقها دخولا على
النفوس وأوسعها حدقا •

● الرياء ، والتصنع والغيبة ، والخداع ، والمكر
والمداهنة والمداورة ، والمصانعة ، والتفاق ، والفدر
والدهاء من مواليد الكذب ومركباته •

وقد ضمنت له هذه الكثرة - فى المواليد -
الشيوع والسيطرة .. وضيق مجال الصدق
حتى اعتبر خشونة وجهامة ، وقلة بصر بالحياة ..
وسداجة •

● بعض الرذائل ألصق بالحياة ، وأقرب الى
طبائع النفوس من الفضائل ، ويؤلمنا أن تكون
المعاملة فى هذا ضربا من العبث •

● لنا رأى .. نخالف به الاصطلاح الشائع فى
الفضائل والرذائل خلاسته : انا لانرى صفة من
هذه الصفات التى جريتنا فى هذا الحديث على

تسميتها : فضائل ورذائل ، ماهو خليق بهذه التسمية •

وانما ندعوها محاسن ومعائب فردية يهبط بها العرف أو يعلو ، على وفاق نصيب المتصف بها من القوة والضعف أو على نصيبها من الشيوخ والخمول وأساسها الانانية والمصلحة •

أما الفضائل التي نراها خليفة بهذه التسمية فهي التي نزل بها القرآن ودعا اليها • • تلك فضائل لا يكون للمتصف بها ، والمؤمن بقوانينها ، نظر الى مصلحة أو سمعة ، وان كان شيء من ذلك ، فالمثوبة عند الله ، والزلفى اليه •

فالكرم فيها احسان الى مستحقه • • ينزل منزلة الحق المفروض له وخروج من سلطان المادة وحدودها في سبيل الله •

والامانة مبدأ يعامل الامين به الناس ، كأنه يعامل الله • •

والصدق ميزان دقيق . . . لا يستقر فيه النش
والتدليس ، ولا يستقر فيه الحسد والرياء *
والتواضع انكار للذات وقوتها في سبيل ايمانها
بقوة الله .

والعفة سمو بالنفس لا تشيل بميزانه خالجة من
خوالج الشيطان والهوى ، فاذا انعرفت بها فزوة
عارضة من نزواتها لجأت الي التشهير والنوبة ،
والاعتراف لتطهر من اثمها *

وهكذا حتى تكون الفضيلة حياء من الله تتجنبه
مواطن حرماته ، فلا تأتيها ولو آتاها الناس جميعا *

● فضائل الدين التي بعث محمد صلى الله عليه
وسلم ، ليتم بها مكارم الاخلاق — تضحية لا ينظر
من ورائها الى غرور الدنيا ، واعراضها الزائلة
.. تضحية لاتضمن للمقدم عليها متعة ولا فائدة
الا الزلفى الى الله .. ونعمت تجارة لن تبور *

تلك محاسن * * * وعنده التي يبدأ بها القرآن
فتمائل

تلك فتنان يعناد بها أصحاب الدنيا ، أو تسمى
أعوج الناس

وهذه وسائل يقال بها رخصاء أو الكس ، وتبغى
المثوبة عنده

تلك محاسن قول بدأ ايضاً بها التي التفتيش ،
فكانت شارة ضمناً * * * وهذه فضائل اقامت مبدأ
سامياً فتح القلوب والنفوس ، قبل أن يفتح المدن
والممالك * * * فما يخرجها والله أن تنهض بهنده
الامة التي قعد بها ضمعقها ، وقعدت بها محاسن
ومعائب بنيتها *

فلناتمسها * * * ولتمهت الجمال لقاهورها * *
فهى أمل النجاة ، وسبب النهوض ومسبيل القوة
والظفر *

● ان كل فضيلة من فضائل القرآن تضرب المثل

الاعلى الكامل للقوة وحريتها فأمّنوا بها واطلبوها •

وكل فضيلة من فضائلنا تضرب مثلاً للضعف

والتهافت والتمويه فاعرضوا عنها وانبذوها •

وليكن الكريم الوهاب محسناً انوفاً ، يأبى أن

يأخذ بما يعطى شيئاً •

وليكن محسناً بصيراً ، يفرق بين الحسنة الواجبة ،

والمحمدة الزائفة •

وليكن الشجاع مجاهداً حراً ••• يغضب للحق

كما يغضب لنفسه •

• وليكن المتواضع صادقاً •• لا طامعاً •

والصابر مختاراً لا مكرهاً •

والإيثاري زاهداً لا تاجراً •



الفهرست

<u>صفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٥	المقدمة
١١	كيف عرفته ؟
٢١	معركته مع العواد
٢٦	مسيرته الثقافية
٣٥	مولده وتعليمه
٤٥	الكاتب والخطيب والفنان
٥٤	فارس الحوار والرسائل
٥٩	محاضراته الشهيرة
٦٩	شعره
٧٣	شوارد من حكمه
٧٩	كلمة ختام
٨٢	مقتطفات من المحاضرة

مطابع الجامعة - الرياض - تلخون ٦٦٣٢٣

الكاتب والكتاب

يعتقد استاذنا الكبير
عزيز ضياء، ان الشاعر العبقري،
حمزة شحاتة .. قمة لم تكتشف
بعد .. وهو في ذلك على حق ..
وانا اعتقد شيئا آخر ايضا ..
هو ان استاذنا عزيز ضياء ذاته
قمة لم تكتشف كذلك ..



ان الاستاذ عزيز ضياء نفسه، رغم صولاته الكثيرة الشاسعة في
ساحة الادب السعودي يظل بارزاً في ميدانين اثنين لا يكاد يتخطاهما
.. وهما الصحافة والاذاعة ..

لذلك .. ارجو ان لا اكون مخطئاً ان قلت : ان هذا الكتاب
يعد اول كتاب يصدره استاذنا الكبير .. وبه يميننا - معشر
القراء - على التعرف لا على حمزة شحاتة القمة فحسب ...
بل ايضا على القمة الاخرى .. اعنى .. عزيز ضياء ..

الكتاب اذن يمثل قمتين .. احدهما تتحدث عن الاخرى ..
قد لا اغلو اذا قلت : ان الاستاذ عزيز يبلغ حقا الذروة
في النشر السائق السلس القوي الاسر .. تماما كما يبلغها حقا
الاستاذ شحاتة في الشعر المتدفق، حيوية وحركة ونصاعة وعبقرية
ان هذا الكتاب محاولة اولى لاكتشاف القمتين معا ..

صاحب المكتبة الصغيرة

عبد العزيز الرفاعي